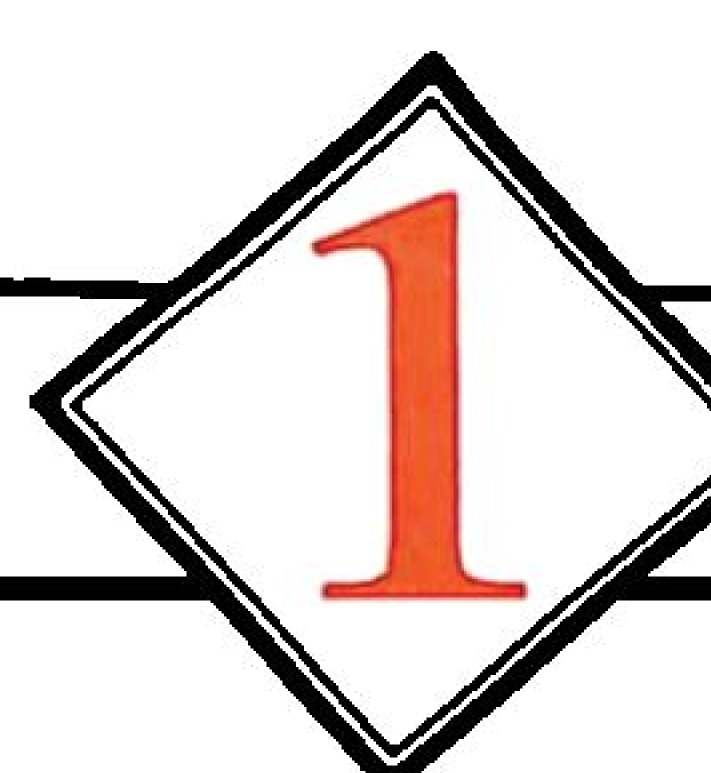
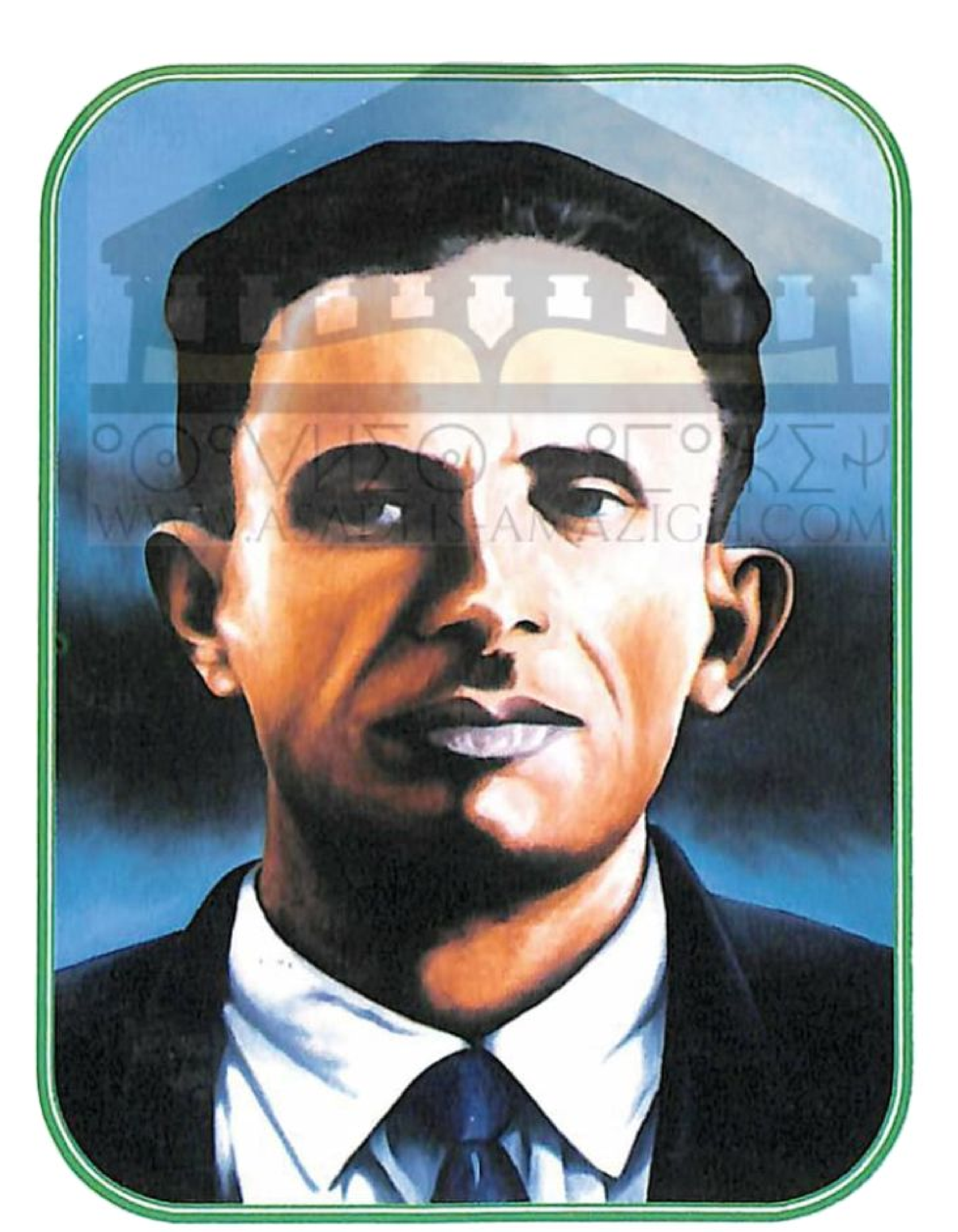
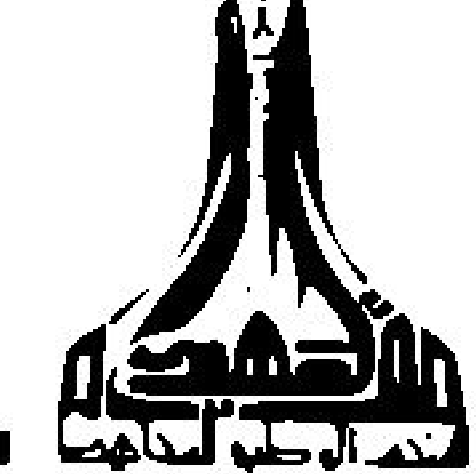


سلسلة رموز الثورة الجزائرية 1954-1962

الشهيد

مصطفى بن بولعيد





2000

إعداد : المتحف الوطني للمجاهد

إعداد : المتحف الوطني للمجاهد .

الشهيد

مُصطفى بن بولعيد





إهداء

إلى أولئك الذين اصطفاهم المولى لارتداء بردة الشهادة في سبيل الوطن ...

إلى هؤلاء الذين كانت أرواحهم لنا جسورا لنعبر إلى الحرية والاستقلال ...

إلى الذين صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه منهم من ينعم في جنات الخلد والرضوان، ومنهم من يواصل المسيرة بنفس العزيمة والإيمان وما بدلوا تبديلا ...

إلى جيل التواصل الذي استبدل البندقية بالقلم وشرب من ينبوع قيم نوفمبر ...

إلى روح أبي الثورة الجزائرية، أعظم ثورة في القرن العشرين.

أهدي ثواب هذا الكتاب.

وزير المجاهدين:
محمّد الشريف عبّاس

توطئة

التأريخ للشهداء ليس بالأمر الهين، وكذلك الحال بالنسبة للجهاد الذي يقترن بالاستشهاد. ويكفي أن نذكر أن اللّه سبحانه وتعالى قد خصّ الشهداء بمنزلة خاصة، لم يحظ بها غيرهم من المؤمنين الصالحين، حيث اعتبرهم أي الشهداء، أحياء عنده، رغم فناء أجسامهم، ومما قاله جل جلاله في حقهم: ﴿وَلاَ تحَسَبَنَّ الْذينَ قُتلُوا في سَبيلِ اللّه أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عنْدَ رَبِهِمْ يُرْزَقُون * فَرِحينَ بمَا آتَاهُمُ اللّهُ من فَضْله وَيَسْتَبْشرُونَ بالذينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم من خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يحزَنُونْ﴾[1] صدق الله العظيم.

ووعدهم بالجنة مقابل تضحياتهم بأموالهم، وأنفسهم، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى منَ المُؤْمنينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ، يُقَاتلُونَ في سَبيلِ اللّه فَيقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ، وَعْدًا عَلَيْه حَقًا في التَّوْرَاة وَالإنْجيلِ وَالقُرْآن، وَمَنْ أَوْفَى بعَهْده منَ اللّه، فَاسْتَبْشرُوا بِبَيْعكُمُ الَّذي بَايَعْتُم به وَذَلكَ هُوَ الفَوْزُ العَظيم﴾[2] صدق الله العظيم.

ووعدهم بالمنزلة الحسنة حين وضعهم ضمن المنعمين والمكرمين مع ثلة من عباده الصالحين وفي مقدمتهم الأنبياء فقال : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللّه والرَّسُولَ فأولَئكَ مَع الذّين أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَبِيِنَ والصدّيقِين وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحين وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[3] صدق الله العظيم.

ويكفي الجزائر المجاهدة فخرًا واعتزازًا، أن شهداءها يعدون بالملايين عبر قرن وثلث قرن من الاحتلال الفرنسي لبلادنا.

وتبقى الفترة التي استغرقتها ثورة أول نوفمبر المجيدة (1954 ـ 1962)، من بين الفترات المتميزة والتي فاز فيها بالشهادة مليون ونصف مليون من أبناء الجزائر، ويظل هذا العدد أكثر بكثير، بدليل أننا وعلى مدى ثمان وثلاثين سنة من تاريخ الاستقلال الوطني، ما زلنا نكتشف مقابر جماعية لشهداء هذه الثورة العظيمة.

وتمجيدا لشهدائنا الأبرار، يشرع المتحف الوطني للمجاهد، في إنجاز سلسلة من الإصدارات التاريخية عن رموز الثورة التحريرية، لتكون درسا وعبرة للأجيال الصاعدة، يتصدرها هذا الكتاب عن الشهيد مصطفى بن بولعيد، وهو أول مولود لهذه السلسلة.

بقلم الدكتور: مصطفى بيطام

المدير العام للمتحف الوطني للمجاهد

مقدمة

تغمر المرء مشاعر الهيبة والوقار وهو يستحضر مآثر السلسلة الذهبية لشهداء ثورة التحرير الوطنية من الأبطال القياديين، والمجاهدين من أبناء الشعب، وينتابه مزيج من الرهبة والخشوع، وهو يتأمل سيرة السابقين الأولين الذين اخترقوا مثل الشهب ظلام العدوان والقهر الكولونيالي الفرنسي، نظموا الصفوف واستحثوا الهمم، واندفعوا بثقة وتصميم نحو المنازلة الفاصلة مع عدوّ أوصل شعبنا إلى حافة الهلاك.

في تلك السلسلة الذهبية يتبوّأ الشهيد مصطفى بن بولعيد مكانة متميزة، فهو صورة طبق الأصل من ملحمة الثورة ذاتها، وجوهرة متلألئة في كوكب الأبطال ومحراب الشهداء، تعكس مواقفه الإنسانية والثورية التي تناقلها الثقاة من الرواة أرقى خصال الإنسان الجزائري المعروف بالشهامة بلا رياء، والعزّة بلا غرور، والصبر عند المحنة والامتحان ورفض الظلم والهوان.

عند استقراء الشذرات المتوفرة عن نشأته في البيئة الأوراسية، نجد ملامح شخصية سيكون لها شأن وأي شأن، خصتها العناية الإلهية بسمات فطرية، وأخرى مكتسبة عن طريق التجربة والمعاناة في المراحل الأولى من العمر، فنضج وعيه بالمسألة الوطنية قبل الأوان، وأحسّ بآلام شعبه وطموحاته وهو فتى غضّ الإهاب، جمع وهو في مقتبل العمر بين جرأة الفتيان وإقدامهم وحنكة الشيوخ من ذوي الحكمة والعرفان.

•

لإدراك أبعاد شخصية الشهيد مصطفى بن بولعيد ومؤهلاته القيادية ينبغي على أجيالنا الراهنة واللاحقة، أن تتعرف بموضوعية على ما كانت عليه بلادنا قبل عقود قليلة، فليس من رثاء الماضي أو المزايدة على الحاضر، أن نقول بأن الجزائر كانت في منتصف القرن الماضي في حالة قصوى من البؤس والدمار، وعلى وشك الخروج نهائيا من الجغرافيا والتاريخ، فقد أغرقت العسكريتارية الكولونيالية كل الانتفاضات في برك من الدماء والخراب، وسخرت أجهزته كل ما لديها من أساليب الإحتواء والتشتيت والقمع وعملت بكل

الوسائل على استئصال مقومات المجتمع الجزائري وتشويه مرجعياته التاريخية، لتيئيسه من الخلاص، وإجباره على التقبل الطوعي للذّل والعبودية.

لا شك أن أصداء احتفال الطغاة بمئوية الاحتلال، وإمعانهم في اضطهاد الأهالي «الأندجينا» واستفزاز مشاعرهم، قد أدمت قلب الفتى مصطفى بن بولعيد، ودفعته إلى التفكير في الوضعية المأساوية التي وصلها وطنه، وجعلته يتساءل عن مكامن الضعف والقوة في الانتفاضات المسلّحة المتعاقبة على مدى حوالي قرن، ومن بين فصولها الأخيرة انتفاضتا 1879م و 1916م في منطقة الأوراس العتيدة بالذات، ومن المؤكد أنه استخلص الدرس الأول وهو أن الخلاص من مخالب العدو الكولونيالي يتطلب تعبئة شاملة، وتحضيرا دقيقا، ونواة صلبة من الوطنيين الرواد.

على نهج عمالقة التاريخ الذين رسم فيلسوف التاريخ «كارلايل» ملامحهم في دراسته عن الأبطال ترفّع مصطفى بن بولعيد عن صغائر الأمور، ولم تبعده

شؤون الحياة وشجونها الكثيرة، في محيطه القريب والبعيد، عن الهدف الأسمى وهو تحرير الوطن مهما كان الثمن وطال الزمن، هدف اقتنع أنه يستحق أن يسخّر له حياته وما كسبت يمينه.

لذلك استعدّ لليوم الموعود وطوّر الجانب العصامي من شخصيته بالدراسة والتجربة ليطّلع بنفسه على ما نصبه العدو من فخاخ ومصايد ويتعرّف على الفرق الشاسع بين زخارف الخطاب عن الحرية والأخوة والمساواة وحقوق الإنسان، ونقيضها الذي تمارسه فرنسا الكولونيالية وباستعلاء على الجزائريين، شعبا وأرضا وعرضا. كما تجاوب مع الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء وممارسة نشاطه السياسي في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ليتجذّر عن فهم ودراية في منابع هويته الوطنية ومقوماتها الحضارية، وكجزائري أصيل لم يكن في حاجة لمن يملي عليه مسلّمة بديهية هي أن الجزائري موجود في عقر داره، وأن «الرّومي» سينحدر طال الزمان أم قصر، ولن يأسف على هزيمته سوى قلّة من الأذناب والمخدوعين ضعاف الهمة والذمّة.

غير أن الملهم الأكبر للشهيد مصطفى بن بولعيد كان هو الشعب بكل فئاته منه استمد خبراته النضالية واحتك بالواقع اليومي وما يزخر به من تناقضات بعضها من دسائس الكولونيالية وطوابيرها العميلة وبعضها الآخر من جرّاء التخلف المفروض بالحديد والنّار أو المتوارث منذ عهود التقهقر والانحطاط، وهنا تجلّت المؤهلات القيادية وبعد النظر عند الشهيد البطل فعمل على جمع الشمل والتآلف ومكافحة النعرات والعصبيات العروشية والشعوذة والنزعات الانهزامية التي زرعها خبراء الإدارة الكولونيالية من الأخصائيين في الحرب النفسية لإجهاض ما كانوا يسمونه بالطموحات المذنبة (esperances coupables).

تمكن مصطفى بن بولعيد بفضل سلوكه المثالي ومكانته الاجتماعية، من اقتحام المعترك السياسي من باب حزب الشعب الذي وجد في أدبياته ونشاطه، استراتيجية للتحرير الوطني بلا لبس ولا تردد، ولا ريب

أن اختياره كان صائبا تماما، فقد مثل ذلك الحزب العمود الفقري للحركة الوطنية، وإليه يعود الفضل في أساليب التنظيم والتكوين السياسي، ونحت المصطلحات والمفاهيم التحررية الأكثر أصالة وتقدمية، وهنا أيضا ظهرت مواهب الرجل وقدراته على جمع الصفوف (Rassembleur) والإيحاء الصادق بالثقة والاطمئنان والإقناع بمصداقية القيادة (Meneur d hommes).

لم يخف على العدو ما يمثله مصطفى بن بولعيد من خطر على مخططاته الإجرامية، فضيّق عليه الخناق ولاحقه في كل مكان فنصب له الكمائن لاغتياله بواسطة العملاء، وكتب اللّه له النجاة، وتمكن هو نفسه بشجاعته الأسطورية من معاقبة الخونة، كما تعرض للسجن وهو في الخدمة العسكرية القهرية في نهاية الحرب العالمية الثانية (1943)، فلم تكن الثكنة الفرنسية بالنسبة له سوى مشتلة لغرس الروح الوطنية وتوعية المجندين الجزائريين وتحضيرهم للجبهة الحقيقية للنضال والكفاح السياسي والعسكري.

إذا كان المناضل القيادي مصطفى بن بولعيد قد اكتسب خبرة سياسية واسعة من نشاطه الفعال في حزب الشعب، فإن الحزب قد استفاد أيضا من مؤهلات الرجل وحنكته وانضباطه، وقدرته على التمييز بين المهم والأهم، وما هو أساسي له أولوية، وما هو ثانوي يمكن أن ينتظر، فقد كان شخصا حاضر البديهة، بعيدا عن الذاتية، والمواقف المريبة والمنزلة بين المنزلتين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، واللفظيات المنمقة التي لا تسمن ولا تغني من جوع، لا يحسم في أمر حتى يفكر ويستشير، فإذا اتضح الخيط الأبيض من الخيط الأسود، كان له القول الفصل، لا يخاف في الحق لومة لائم.

هذا بالضبط ما كان عليه سلوكه أثناء أزمة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، فقد حاول رأب الصدع، والارتفاع بأقرانه إلى مستوى التحدي الخطير المطروح على البلاد كلها، والتنبيه إلى مغبة الانقسام والبلبلة والصراعات الهامشية، وتسبيق المصالح الأنانية على حساب القضية الوطنية فلن يكون الرابح في كل الحالات سوى عدو الجميع وهو الطغمة

الكولونيالية، وكلابها المسعورة من العملاء - الأعوان (Notables, Collabo).

لا ندري هل توقّع مصطفى بن بولعيد أن تتفاقم أزمة حركة الانتصار وتستعصي على الحل، هناك ملابسات تتطلب مزيدا من البحث وعوامل متشابكة حظي بعضها بإجابات من فعاليات كثيرة منذ ذلك العهد، وما زال الكثير منها ينتظر التحليل والتفسير، لكن المؤكد أن المناضل مصطفى بن بولعيد كان يعتبر الجبهة السياسية ذراعا للكفاح الوطني، وأن ذراعه الآخر سيكون يوما - ما - الكفاح المسلح، فقد كان على اطلاع على ما يجري في عالم ما بعد الحرب الكونية الثانية في الهند الصينية والمشرق العربي وجارتينا تونس والمغرب ...

وقد ازداد يقينا بحتمية التحضير للساعد الأيمن المسلح بعد أن تقطّع قلبه غيضا وأسى وهو يرى شعبه وفي مقدمته مناضلي حزبه يُقَتَّلُونَ بالآلاف، وتُدمّر قراهم البائسة، ويقادون مكبلين بالأغلال إلى غياهب

السجون والمعتقلات، في الثامن ماي 1945م، وذنبهم الوحيد، أنهم طالبوا الحرية والحق في تقرير المصير، وضحوا لانقاذ فرنسا المهزومة بضربة واحدة وفي أيام معدودات، بعشرات الآلاف من المجندين الشباب، ولعله كان يجادل نفسه والثقاة من رفاقه في جدوى المطلبية القانونية (Legaliste) ويقول : لا يفلّ الحديد إلاّ الحديد، نحن على حق وقضيتنا مشروعة، ولكن الحق في حاجة إلى إرادة للذود عنه، والإرادة تخلق القوة التي تنتزعه عنوة من عدوّ جمع بين اللّلؤم والوحشية.

ومن دلائل ذلك التوجه المبكّر انضواءه في بداية سنة 1947م في القوة الضاربة للحركة أو الجناح العسكري المعروف باسم المنظمة الخاصة، رفقة النواة الأولى بقيادة الشهيد البطل محمّد بلوزداد، وكان من بين الذين ابتلوا البلاء الحسن، فوضع خبرته العسكرية وبراعته التنظيمية رهن إشارة التنظيم، وجعل من دروب الأوراس الوعرة ومخابئه حصنا آمنا للتدريب، وجمع

الذخيرة والسلاح وإيواء الملاحقين من طرف مخابرات العدو وعيونه الميثوثة في كل مكان، وخاصة بعد اختراق المنظمة الخاصة، واكتشاف شبكتها عبر كل أرجاء القطر، وتكالب سلطات الاحتلال على اجتثاثها من الجذور.

تمكن مصطفى بن بولعيد مع قلّة من القادة والرفاق الأوفياء في القاعدة من المحافظة على الشعلة تمهيدا لتأجيج لهيبها في كل شبر من أرض الوطن، فقد كان يجوب قرى الأوراس ومدنها ينتقي الأشداء الأمناء من الرجال، ويحدد المسؤوليات ويعين المواقع، ويعقد الاجتماعات مع المناضلين، ويضبط برامج التحرك داخل وخارج المنطقة، ويشدد على اليقظة والتزام حالة الاستنفار الدائم والكتمان، فقد تعلّم من تجاربه السابقة أن أخطر ما يهدد الحركة السياسية والتنظيم الثوري هو الغدر والخيانة.

مثل القادة الكبار على رأس المناطق الخمسة التاريخية، وفي الجبهات الأخرى لم يقتصر نشاط

مصطفى بن بولعيد على منطقة الأوراس فقد كانت خريطة الجزائر كلها هي موطنه، ونساؤها ورجالها هم أهله وعشيرته، فهم عنده في الأوراسِ من العائلة، بل من أهل الدار الأقربين، وهو يشعر إذا حلّ بأية قرية أو مدينة أنه ينزل بين أقاربه وذويه.

بسبب هذه الروح الثورية الطاهرة اختير مصطفي ابن بولعيد للقيام بالمهام الصعبة والدقيقة، إمّا وراء البحر للتفاوض مع الزعيم مصالي الحاج، وإمّا لاطلاع بقية القادة الثوريين الموجودين خارج الحدود، وإمّا للإشراف على اجتماعات حاسمة تتخذ فيها قرارات مصيرية (اجتماع يوم 24 جوان 1954م للاتفاق على القيام بالثورة).

نجح مصطفى بن بولعيد بعد شهور قليلة من اندلاع حرب التحرير في تأطير المنطقة بالمسؤولين العسكريين والسياسيين وإقامة شبكة فعالة للاتصال والتموين وجلب الذخيرة والمؤونة ممّا أدى إلى إلحاق جنرالات فرنسا خسائر باهضة حتى أصبحت الأوراس تذكر

القيادة السياسية والعسكرية الفرنسية بأهوال «فردان»، فقد استطاع قائد المنطقة الأولى ومساعدوه الأشاوس أن يسدّدوا للعدوّ ضربات موجعة.

في تلك الأيام الأولى لميلاد الثورة خاضت أفواج جيش التحرير معارك التضحية والفداء، فقد كان المجاهدون والمناضلون والمسّبلون على دراية بالترسانة الضخمة للعدو، وما يتوفر عليه من عدة وعتاد والكثير منهم عانى من غطرسته وبطشه، ومنهم من أفلت من مخالبه الدموية بأعجوبة، وهم على قناعة بأنّ الإيمان باللّه وحق الوطن في الحرية والإرادة الفولاذية هي القوة الحقيقة التي تضمن لهم القدرة على المواجهة والصبر على الشدائد.

لم تكن الأسلحة القليلة التي جمعها البطل مصطفى ابن بولعيد لتقلل من الفارق في ميزان القوة، ولكنه مع ذلك طبق فحوى الآية الكريمة «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» فأمد المناطق الأخرى بما استطاع من سلاح وذخيرة قبيل الثورة، وشدد في نفس

الوقت الخناق على قوات العدو وكبدها أفدح الخسائر حتى تصورت هيئات الأركان السياسية والعسكرية أن القضاء على الثورة يعني إطفاء شعلتها في الأوراس، فحاصرتها بالعمليات التمشيطية ليلا نهارا، وصبت عليها وابلا من الحجيم، ولكن مصطفى بن بولعيد ورفاقه لم يروا في الأوراس سوى قاعدة أمامية للمنازلة الشاملة، بل لم يكن مصطفى بن بولعيد يعتبر نفسه أكثر من مجاهد يتحمل مسؤولية مصيرية، ولذلك خطط لجلب السلاح وراء الحدود، ونفذ خطته في سفرة الأهوال التي تعرض الصفحات التالية لقطات منها، وهي جديرة بأن توثق في أشرطة سينماتوغرافية وأن تكون مصدر إلهام لكتّاب القصة والرواية، فقد وقع الأسد أسيرا ولكن هل تقبل الأسود الحياة في الأقفاص؟ فقد تمكن بالجرأة والذكاء من النجاة وعاد إلى عرينه، وكان بالإمكان أن يعبر البحر أو يختفي وسط عامة النّاس إلى حين.

عاد القائد إلى ساحة المعركة أكثر عزما على النصر أو الاستشهاد مؤمنا بقوله تعالى : «وما تدري نفس بأيّ أرض تموت»، فقد عرف الرجل بالتقوى والورع والإيمان بالقضاء والقدر، بدون إفراط يدفع إلى الخمول والتواكل والضياع، ولا تفريط يؤدي إلى الصغار والاستهتار، ولذلك لم يكن الموت شغله الأساسي، إن أكثر ما كان يخافه ويخشاه هو مكائد العدوّ أولا ونزوات النفس الأمّارة بالسوء ثانيا.

غير أن ذلك العدوّ كان في الحقيقة يترصده، ويتتّبع كل حركاته وسكناته، وينصب له الشراك بالمكر والخديعة، بعد أن عجز عن هزيمته في الميدان، فلم تمض شهور قليلة على إفلاته من سجن الكدية الرهيب، مع عدد من رفاقه حتى اغتاله الجبناء بواسطة جهاز ملغم وبذلك افتقدت فيه الجزائر والثورة واحدا من قياداتها المؤسسة التي تتمتع بالكفاءة والمهابة والمشهود لها بالوطنية النقيّة.

اعتبر الشهيد مصطفى بن بولعيد بيان الأول من نوفمبر عهدا وميثاق شرف، إلتزم بكل بنوده وطبقه حرفا بحرف حتى وافاه الأجل، وصعدت روحه الطاهرة إلى أعلى علّيين مع الشهداء والصدّيقين، وكأنه على موعد مع فحوى آخر فقرة من ميثاق الشرف وهي :

«أما نحن العازمون على مواصلة الكفاحِ الواثقون من مشاعرك المناهضة للإمبرياليين، فإننا نقدم للوطن أنفس ما نملك».

ميثاق الشرف هو نظرية الثورة الجزائرية ومشروعها المتجدّد عبر الأجيال والمثل العليا التي جسّدها رجال من وزن مصطفى بن بولعيد وأقرانه العظام الذين تركوا لأجيال الجزائر القادمة تراثا لا يقدر بثمن، وشواهد للبطولة، وسلوكاته تقترب من الكمال، إنهم تلك السلسلة الذهبية وجواهرها المتلألئة التي أشرنا إليها فيما سبق، إنّهم ذخيرة شعبنا المعنوية بدونهم تضيّع الجزائر معالم ماضيها وتظهر أصغر من حجمها الحقيقي.

ولكن تراث الثورة والمقاومة المسلحة والسياسة، لا يجب أن يبقى للذكرى والعبرة فقط، وإنما يعتبر أيضا مرجعية دائمة و«بوصلة موجهة نحو المستقبل».

يجد القارئ الكريم في الصفحات التالية باكورَة سلسلة مخصصة للقادة شهداء الثورة تبدأ بسيرة مصطفى بن بولعيد من مولده حتى استشهاده وتقدم لقطات من حياة يقترب فيها الواقع من الأساطير الملحمية وتتنافس فيها الحقيقة المجسّدة مع المثل الأعلى.

إنه لمجهود مشكور يستحق الدعم والمتابعة ليستمر ويتطور، فمن المطلوب ونحن على مقربة من الاحتفال باليوبيل الذهبي لثورة التحرير ومرور خمسين عاما على اندلاعها (2004) أن تقدم سيرة أبطال الجزائر في ماضيها القريب والبعيد عدة مرات بمقاربات أكاديمية من اجتهادات العلماء والمختصين في شتى الفنون والمعارف، تخرج منها صياغات مبسطة موجهة

لجمهور النّاس تجمع بين التشويق والترويح، ولتحقيق هذا الهدف يمكن الاستعانة بالتقنيات التربوية الحديثة ووسائل الاتصال والتبليغ الواسعة الانتشار مثل الأشرطة والأفلام بما فيها «الكارتون» والمعارض المتنقلة والمتاحف وأدب الأطفال وروائع القصص والروايات وتشجيع التنافس بين ذوي الإبداع في الفنون الجميلة وخاصة الرسم والنحت.

إن الاستثمار في هذا القطاع ليس من الأبّهة والكماليات إذ أن له مردودا معنويا واقتصاديا على المدى المتوسط والبعيد، فإسبانيا الكاثوليكية تحتفل بتراث الفاتحين أعداء الأمس بالأندلس وتحقق من السياحة والإشهار لمعالم «الفردوس المفقود» الجزء الأكبر من دخلها السياحي.

فما بالك إذا تعلق الأمر بأبطال الجزائر من الرجال والنساء الذين تركوا بصمات وضاءة في تاريخنا القديم والمعاصر.

إن العرفـان والتنويه بالقادة العظام والشهداءِ منـهـم بـوجه خـاص لـيس مـن عـبـادة الأسـلاف (Culte des Ancetres) كما يدعي البعض إنه تعبير عـادي ومشروع وطـني (Patriotisme) به تـتحقّق الاستمرارية التاريخية للأمة والمجتمع وبدونه تتحوّل الأمة إلى مجرّد «قطيع» ولم يكن هذا أبدا شأن الجزائر في أي عصر من تاريخها المجيد.

بقلم الدكتور :

محمّد العربي ولد خليفة

□ مولده ونشأته :

ولد مصطفى بن بولعيد في الخامس من شهر فبراير 1917 بقرية «إينرْكبْ» بأريس ولاية باتنة من أب يدعى امحمّد بن عمار وأم تدعى عائشة أبركان، والوالدان ينتميان إلى عائلة من سكان قرية أولاد «تخريبت» من عرش «التوابة».

وفي ظل التفاعلات العميقة التي عرفتها الجزائر في العشرية الثانية من مطلع القرن العشرين، وما نتج عنها من أحداث وتأثيرات مباشرة على الوضع العام في البلاد، نشأ مصطفى بن بولعيد في أسرة متدينة، ذات مكانة اجتماعية متميزة، حرصت على التمسك بمقومات الشخصية الوطنية وبالأخلاق الفاضلة وبتقاليد المجتمع المحافظ.



منظر عام للشركة ((إيزكس)) بأريس، مسقط رأس مصطفى بن بولعيد

وفي جوّ تلك التفاعلات التي أفرزتها الحرب الكونية الأولى وما أحدثته من تغيير في الأفكار والمفاهيم، بدأت شخصية مصطفى بن بولعيد تتبلور وتتفاعل مع الوضع القائم، كما بدأت ملامح الذكاء والرزانة والهدوء والاتزان والجد والصرامة تطبع حياته، مما أهله ليقود رفاقه في بعض المواقف، ويفض النزاعات بينهم.

وفي مسقط رأسه الذي كان يتميز بالنشاط الاصلاحي، بدأ مصطفى بن بولعيد مساره الدراسي، فتلقى تكوينه الأولي عن أسرته، ثم عن شيوخ المنطقة، وفي مقدمتهم، الشيخ ابن ترسيّة، الذي قرأ على يديه ما تيسر من كتاب اللّه العزيز[4].

وبعد ذلك انتقل إلى مدينة باتنة، لمواصلة دراسته، حيث التحق بمدرسة الأهالي «الانديجان» الأمير عبد القادر حاليا، ثم المدرسة العليا الإعدادية

(كوليج) التي أصبحت بعد الاستقلال تحمل اسمه، وهي غير الثانوية الجديدة التي أطلق عليها نفس الاسم ، بعدما تحولت الثانية إلى إكمالية الإخوة العمراني، وهناك لاحظ وعاش مدى الفروق الكبيرة والتمييز الذي تمارسه الإدارة الفرنسية الاستعمارية بين أبناء الوطن الأصليين وأبناء المعمرين الدخلاء.

وبسبب كره والد مصطفى بن بولعيد للإدارة الفرنسية الاستعمارية وخوفه على ابنه من التأثر بثقافتها، والذوبان في الشخصية الفرنسية وانسلاخه عن مقومات الشخصية الوطنية، أوقفه عن الدراسة[5] إلا أن مصطفى بن بولعيد لم يتخل عن الطريق الذي رسمه لنفسه في طلب العلم والمعرفة، لأنه كان واثقًا من أمره وواعيا بالواقع الذي كان يعيشه.

وحرصا منه على تحقيق أمانيه وطموحاته في هذا المجال، التحق في أواخر الثلاثينيات بمدرسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (بأريس) والتي كان يديرها كل من مسعود بلعقون والشيخ عمر دردور.

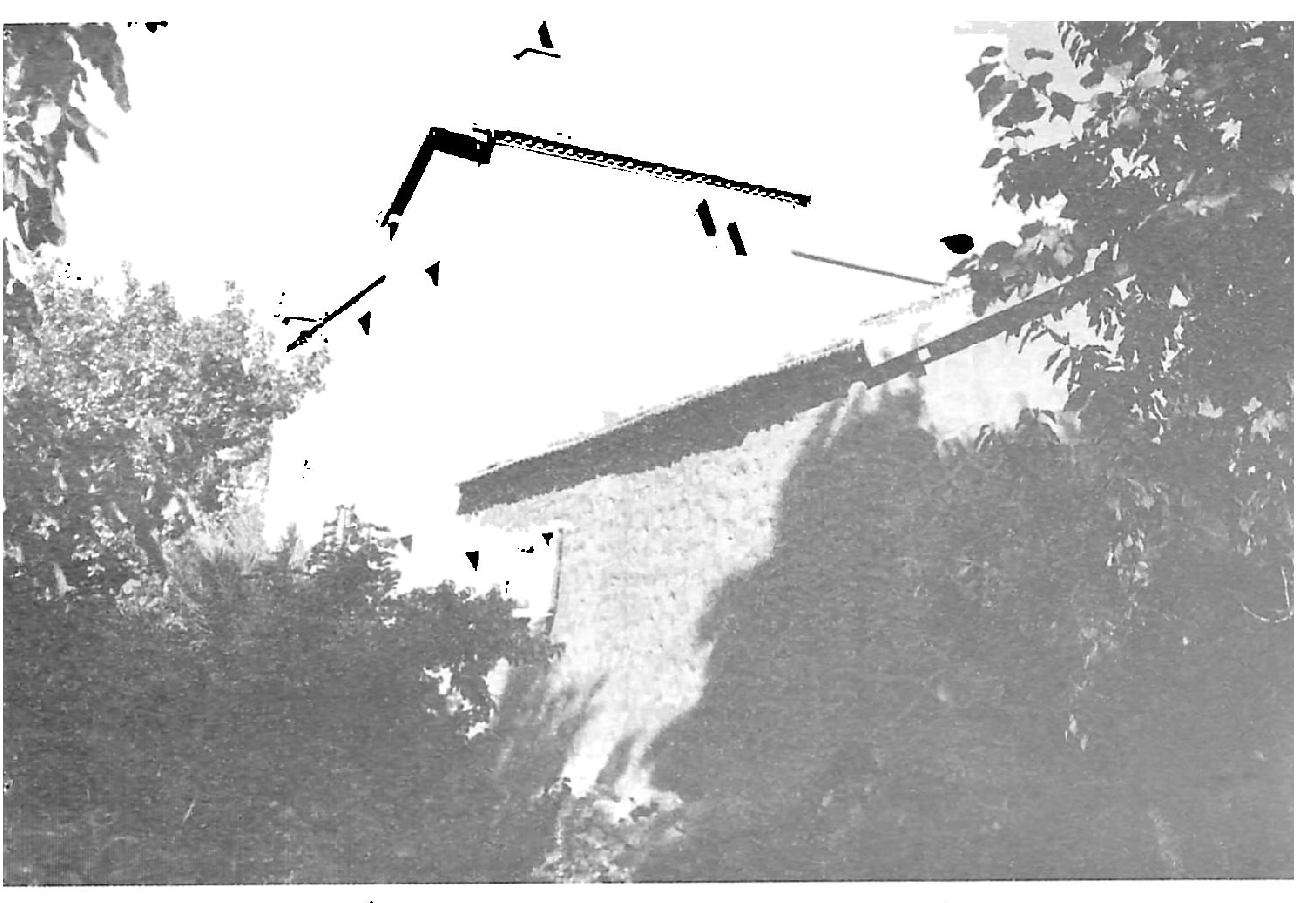
لقد عرف عن مصطفى بن بولعيد خلال هذه الفترة، أنه كان شغوفا بالثقافة ولوعا بالمطالعة، وكل ذلك كان له أثر كبير في تكوين شخصيته المتميزة، وصقل مواهبه.

▢ نشاطه الاجتماعي :

عاد مصطفى بن بولعيد بعد توقفه عن الدراسة إلى مسقط رأسه بدوار وادي الأبيض بأريس لمساعدة والده في خدمة الأرض والتجارة معا، وظل على ذلك حتى توفي والده في 7 مارس 1935.



مصطفى بن بولعيد في مرحلة شبابه



هذه الصورة لمنزل مصطفى بن بولعيد، بمدينة أريس.



المسجد الذي بناه مصطفى بن بولعيد بأريس

وعلى إثر ذلك، انتقلت مسؤولية التكفل بالعائلة إلى مصطفى بن بولعيد، وهو لم يتخط بعد العقد الثاني من عمره[6] ، كما ظل ملازما للعديد من شيوخ المنطقة، بغرض التزود بالمعارف والتفقه في أمور الدين والدنيا، عملا بوصية والده.

ورغم تكفله بتسيير شؤون أسرته، وما تتطلبه من أعباء إلا أنه وسع من نشاطه الاجتماعي والعمل الخيري، حيث بادر مع مجموعة من رفقائه الذين يشاطرونه الرغبة نفسها في تأسيس جمعية خيرية، ومن بين ما قامت به بناء مسجد بأريس، ليكون وسيلة تهدف إلى التآخي والتآزر والتضامن بين السكان[7] عملا بقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[8]. صدق الله العظيم.

لقد عرفت حياة مصطفى بن بولعيد، وثبة كبيرة في مجال العمل الخيري والاجتماعي. فبمكانته الاجتماعية المميزة، وما يتصف به من أخلاق واحترام لدى الجميع، استطاع أن يسوي الكثير من المشاكل والنزاعات التي تحدث بين الحين والآخر، بين أهل المنطقة، والتي سعت السلطات الفرنسية الاستعمارية وأذنابها إلى تغذيتها باتباع سياسة «فرق تسد».

وقد استطاع مصطفى بن بولعيد بعمله الخيري هذا أن يفوت الفرصة على الأعداء، ويخيب آمالهم، بفضل ما للتفاهم والوئام والتسامح من دور فعال، في تعزيز الأخوة والتضامن ووحدة الصف بين النّاس.

ويعتبر هذا النشاط الاجتماعي الاصلاحي عنده عملا استراتيجيا لتحضير المستقبل.

❑ سفره إلى فرنسا :

تعتبر منطقة الأوراس قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية، من بين مناطق الوطن الأكثر بؤسا وفقرا، بسبب سياسة الاستعمار الفرنسي المبنية على القمع والاستغلال والقهر، مما أدى بالعديد من أبناء المنطقة إلى شد الرّحال للهجرة إلى فرنسا، بحثا عن العمل وهروبا من القمع، وكان مصطفى بن بولعيد واحدا من بين الذين أجبرتهم الظروف على مغادرة الوطن سنة 1937، ليس بدافع مادي وإنما بحثا عن مجال أوسع وأرحب لبلورة أفكاره والتعرف عن قرب عما يجري هناك. وقد استقر بمدينة (فيليري) بمقاطعة (ميتز)، حيث تكثر الجالية الجزائرية المهاجرة، فعاش عن كثب الوضعية المأساوية التي كان يعيشها العمال الجزائريون[9]، حيث وقف إلى جانبهم وبجد من أجل التخفيف من معاناتهم اليومية، وحل مشاكلهم المعقدة، مما جعله يحظى بثقتهم فانتخبوه رئيسا لنقابتهم[10].

لقد كانت هذه المسؤولية النقابية فرصة له للتعمق في قضايا الشغل والإحاطة بمختلف الأوضاع والمشاكل الصعبة التى يعيشها العمال الجزائريون المهاجرون، كما كانت فرصة أيضا للإلمام بطبيعة الواقع الفرنسي والاطلاع على مجريات الحياة الاجتماعية بفرنسا، ومقارنتها بمثيلتها في الجزائر، ليكتشف ودون عناء حقيقة السياسة الفرنسية القائمة على التميز والقهر والظلم والاستبداد المسلط على أبناء وطنه طوال ليالي الاستعمار المظلمة.

▢ عودته إلى أرض الوطن :

عندما شعر مصطفى بن بولعيد بضرورة العودة إلى أرض الوطن لمواصلة نضاله شدّ الرحال إلى مسقط رأسه في شهر أفريل 1938، وهناك استأنف العمل والنشاط في مهنته الأولى، المتمثلة في التجارة والفلاحة.



في هذا المكان الذي يعرف بـ (أفرا) كانت لمصطفى بن بولعيد طاحونة الحبوب

وقد حرص على تحويل محله التجاري إلى ما يشبه ناديًا يتردد عليه شباب المنطقة، وكان يتبادل معهم الآراء حول الأوضاع التي كانت تمر بها البلاد آنذاك، وفي طليعة الشباب الذين كان يلتقي بهم باستمرار : سمايحي الحاج زراري وابن حاية بومعراف ومسعود بلعقون، وكان هؤلاء في عداد النشطين معه في أريس[11].

وفي مطلع عام 1939، استدعي مصطفى بن بولعيد لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية، فقضاها ما بين بجاية وسطيف، وقد أظهر خلالها فطنة وقدرة مميزة في استيعاب فنون الحرب، مما استرعى انتباه المسؤولين الفرنسيين العسكريين، وقد توجت تلك الخدمة سنة 1940 بمنحه شهادة شرفية «كمقاتل مقدام» وتقليده رتبة «رقيب»[12].

وفي سنة 1942 تزوج مصطفى بن بولعيد بإحدى بنات المنطقة والتي انجبت له فيما بعد ستة أبناء وبنتا واحدة[13]. وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية وبالتحديد سنة 1943، استدعي ثانية للتجنيد في إطار التعبئة العامة بثكنة قالمة، ونتيجة لنشاطه الوطني المتميز أودع السجن العسكري بتهمة تحريض الشباب الجزائري المجند في الجيش الفرنسي على التمرد والعصيان.

وبعد ما أطلق سراحه عاد إلى مسقط رأسه سنة 1945 سنة المجازر والمذابح الرهيبة التي ارتكبها الغزاة، ضد الجزائريين في سطيف وقالمة وخراطة وغيرها من المدن والقرى، والتي أثّرت فيه أيما تأثير، وفي حوز أريس المتكون من أربعة عشر دوارا، انتخبه التجار رئيسا لهم، في الوقت الذي كان يرأس الجمعية التي تشرف على تسيير مدرسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي كان يدرّس فيها المرحوم صالحي محمد الأمير، إلى جانب

ممارسته للنشاط السياسي في صفوف حزب الشعب الجزائري[14].

▢ نشاطه السياسي والعسكري:

1 ـ في حزب الشعب الجزائري :

يعود تاريخ انضمام مصطفى بن بولعيد إلى صفوف حزب الشعب الجزائري إلى أوائل الأربعينيات، ضمن خلية كانت تمارس نشاطها في أريس تحت مسؤولية مسعود بلعقون، وقد استطاع بفضل جديته وكفاءته فضلا عن مكانته الاجتماعية أن يوسّع من نشاطاته ويحفّز شباب المنطقة على الالتحاق بهذه النشاطات.

وبالموازاة مع ذلك، حرص على الدفاع عن مصالح السكان وقضاياهم المصيرية، من خلال محاربته لحكام المنطقة الاستعماريين وانتقاده لتصرفاتهم الجائرة، عن طريق الاحتجاج ورفع

الشكاوى ضدهم لدى مجلس عمالة قسنطينة مما دفعه إلى تشكيل نقابة محلية للدفاع عن حقوق المواطنين.

لقد عمل مصطفى بن بولعيد بصفته، عضوا فعالا في حزب الشعب الجزائري، على نشر أفكاره المجددة للاستقلال والحرية وسط سكان المنطقة. وبعد مجازر 8 ماي 1945 الأليمة، تأكد له ولغيره من الشباب الجزائري، أنه لا سبيل لاستعادة السيادة الوطنية إلا بالعمل المسلح، وهو ما تبلور فعلا في مؤتمر حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في فبراير 1947 بالجزائر العاصمة، حين تمّ تأسيس جناحها العسكري المعروف بالمنظمة الخاصة (L'os) والتي ترأسها محمّد بلوزداد[15].

2 ـ في المنظمة الخاصة :

نظرا لنشاط مصطفى بن بولعيد الدؤوب

وحيويته وقدرته التنظيمية الفائقة في صفوف حزب الشعب ثم في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، قررت قيادة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ترشيحه على رأس قائمتها بمنطقة الأوراس لانتخابات المجلس الجزائري في 4 أفريل 1948 وقد فاز في الدور الأول وعند الشعب فوزا ساحقا، إلا أن الإدارة الفرنسية الاستعمارية كعادتها، لجأت إلى تزوير هذه الانتخابات في الدور الثاني، في الحادي عشر من نفس الشهر والسنة حيث أقدمت على تزكية أحد العناصر الموالية لها بدلا منه، ثم قامت بعد ذلك بمحاولتين لاغتياله :

- المحاولة الأولى كانت في عام 1949م عندما هاجمت عصابة من الخونة منزله ليلا، ولكن يقضته وتفطنه لها حال دون ذلك، حيث رد عليها بالرصاص بسرعة فلاذت بالفرار.

- أما المحاولة الثانية فقد تعرض لها من نفس العصابة في عام 1950م، عندما تسلق أحد أفرادها ليلا شجرة مطلة على بهو منزله، لكن مصطفى بن بولعيد رماه بحجر فانسحب المتسلق تحت جنح الظلام.

ولما فشلت العصابة في اغتيال مصطفى بن بولعيد في المحاولتين السابقتين، التجأت إلى محاولة أخرى عام 1951م لاغتيال أخيه عمر، نتيجة مواقفه الوطنية الثابتة ومساندته لأخيه، حيث تعرض له أفراد العصابة في وضح النهار أثناء عودته من مدينة باتنة إلى منزله بأريس، وبينما هو في طريقه إليه، وعلى بعد 100 متر منه هجم عليه شخصان وانهالا عليه بالعصي، لكن عمر أطلق الرصاص من مسدسه عليهما فقتل أحدهما وجرح الثاني[16].

ورغم كل الدسائس والمؤامرات التي حيكت ضد مصطفى بن بولعيد، فقد ظل وفيا لمبادئه، مسخرا كل غال ونفيس من أجل خدمة القضية الوطنية والدفاع عنها[17].

لقد كان مصطفى بن بولعيد في طليعة الشباب الأوائل الذين انضموا إلى المنظمة الخاصة (L'os) بالأوراس، كما كان في طليعة من أسندت إليهم مهمة تشكيل نواة هذا التنظيم السري في منطقة الأوراس. وقد ارتكز نشاطه في البداية على اختيار العناصر المؤهلة لجمع الأسلحة والتدريب على استعمالها، واستطلاع طبيعة الأرض، بالاضافة إلى البحث عن مصادر جلبها، وكيفية إدخالها من الحدود الشرقية والصحراء، ونقلها إلى منطقة الأوراس وصيانتها وتخزينها في المطامير بقرية الحجاج، لاستعمالها في الوقت المناسب.



في هذه المنازل ومثيلتها من قرية الحجاج شرق مدينة أريس على بعد 7 كلم كانت تقام مخابئ لتجميع الأسلحة.



وفي إطار إعداد العدة لتفجير الثورة المسلحة، استغل مصطفى بن بولعيد فرصة تواجد كمية لا يستهان بها من الأسلحة لدى المواطنين وهي من بقايا الحرب العالمية الثانية، فبادر إلى دعوة كل مناضل أو محب للحزب لامتلاك بندقية وذخيرة لها، استعدادا لليوم الحاسم.

ومما يروى عنه أنه أشاع بين الناس فكرة هي على غاية من الذكاء، ظلت تروج على نطاق واسع ولمدة طويلة، وهي «أن الإنسان الذي لا يملك بندقية لا يستحق أن يكون رجلا». وقد كانت سببا في تسابق المواطنين إلى امتلاك السلاح والذخيرة بدون تردد.

ولما كان من عادة المواطنين استهلاك كميات كبيرة من الذخيرة التي بحوزتهم في الأفراح والولائم، نبه مصطفى بن بولعيد إلى خطورة الظاهرة، وفي الوقت نفسه أمر المناضلين

بضرورة الاحتفاظ بما لديهم من الأسلحة والذخيرة، ومن بين ما أقدم عليه أنه سارع إلى جمع كميات معتبرة منها، ثم قام بتخزينها في أماكن آمنة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

واستنادا إلى شهادة بعض المناضلين الذين عاصروه، فإن مصطفى بن بولعيد قد ساهم بماله الخاص مع المناضلين في شراء كميات معتبرة من الأسلحة والذخيرة، وقد تم جلبها من ليبيا وتونس[18].

لقد برز دور مصطفى بن بولعيد وظهر بصورة جلية بعد اكتشاف المنظمة الخاصة (L'os) في مارس 1950، عندما تكفل بإيواء العديد من المناضلين الفارين من مناطق عديدة من الوطن، والذين ظلوا محل المتابعة والمطاردة من قبل مصالح الأمن الفرنسي، التي سارعت إلى شن حملة تمشيط واسعة النطاق بمنطقة الأوراس، أعقبتها عمليات

استنطاق وتعذيب وترهيب للسكان، مما دفع بمصطفى بن بولعيد إلى تكوين «جبهة الدفاع عن الحريات» ضمت جميع التيارات الوطنية للكشف عن جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر[19].

ورغم كل هذه المضايقات والمؤامرات، استطاع مصطفى بن بوليعد بحنكته ودهائه وجرأته أن يحافظ على المنظمة الخاصة (L'os) ويكثف نشاطها بالمنطقة[20]. وفضلا عن نشاطه هذا فقد كان من أبرز مناضلي حركة الانتصار، مما أهله للفوز بثقة التيارات السياسية العاملة على الساحة الوطنية وقياداتها وينتزع بجدارة عضويته في اللجنة المركزية ومكتبها السياسي، وذلك في جويلية 1953[21].

❑ مساعيه في حل أزمة الحزب:

نتيجة لتفاقم الخلاف والصراع بين المركزيين والمصاليين، حول السياسة التي تبنتها، اللجنة

المركزية للحزب، في كيفية اختيار نوع قيادتها، وأمام تشبث المصاليين بموقفهم وتمسكهم برأيهم، اشتدت الأزمة واحتدم الخصام في النهاية، وخرج النزاع الذي كان يجري في نطاق ضيق إلى العلانية، فوصل إلى مسمع المناضلين في القاعدة، ثم ما لبث أن تطور واتخذ منحى آخر، أدى في النهاية إلى القطيعة بين الطرفين.

لقد ترتب عن نفي زعيم الحزب مصالي الحاج إلى فرنسا في 14 ماي 1952 ووضعه تحت الإقامة الجبرية بسبب مواقفه، أثر بالغ على الوضع السياسي وتوجهاته، خاصة بعد إقدامه على سحب الثقة من الأمين العام للحزب نظرا لمطالبته بالسلطة المطلقة وهو ما رفضته اللجنة المركزية رفضا مطلقا.

ولتجاوز هذه المعضلة، بادر بعض الشباب الثوري – وفي طليعتهم مصطفى بن بولعيد لتطويق

الخلاف القائم بين الطرفين المتصارعين (المركزيين والمصاليين) - والشعور يحدوهم، بأن جهودهم التي كانوا يبذلونها منذ 1947 سوف تذهب سدى ما لم يفعلوا شيئا، وأن أماني الشعب وآماله ستتحطم وتضيع، ما لم يطوّقوا هذا الخلاف. ومن هنا تم الاتصال بزعيم الحزب في شهر أكتوبر 1953 من قبل مصطفى بن بولعيد الذي دعمته في مبادرته هذه العناصر الناشطة في المنظمة الخاصة (l'os) حاول معه إيجاد حل توفيقي للأزمة القائمة، إلا أن المحاولة فشلت بسبب إصرار مصالي الحاج على موقفه.

وممّا زاد الوضع تأزما، إثر اجتماع فدرالية حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بفرنسا يومي 26 و 27 ديسمبر 1953، هو إقدام زعيم الحزب على توجيه رسالة إلى اللجنة المركزية ضمنها موقفه، منتقدا بشدة سياستها وانزلاقها نحو المغامرة.

وبعد سفر أمحمّد يزيد في 16 جانفي 1954 لمقابلة زعيم الحزب في منفاه، وسعيا لإيجاد مخرج للصراع القائم والمتأزم، اتصل مصطفى بن بولعيد ثانية بمصالي الحاج في 25 فيفري 1954، إلا أنّ هذا الأخير، فاجأ الجميع بإعلانه عن ميلاد «لجنة الإنقاذ العام» في شهر مارس 1954، حيث قام بتوزيع مناشير بيّن فيها أسباب الخلاف القائم بينه وبين اللجنة المركزية، ممّا أدى إلى توسع دائرة الخلاف واستفحاله.

وأمام هذا المأزق الذي آلت إليه أمور الحزب، وبعد دراسة عميقة للوضع، اهتدى مصطفى بن بولعيد ورفاقه المتحمسون للعمل الثوري المسلح إلى فكرة تشكيل اللجنة الثورية للوحدة والعمل، وذلك في 6 مارس 1954م، بهدف العمل على تقريب وجهات النظر بين التيارين

المتصارعين (المركزيين والمصاليين) في هرم قيادة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية.

وإيمانا من مصطفى بن بولعيد بوحدة الصف ووحدة الجهود خدمة للقضية الوطنية المقدسة، شارك في أشغال المؤتمر الذي عقده المصاليون في مدينة «هورنو» ببلجيكا أيام : 14. 15. 16 جويلية 1954، والأمل يحدوه للتوصل إلى إيجاد صيغة وئام بين الطرفين، بهدف تجاوز كل ما من شأنه أن يوقف المشروع الهادف إلى تفجير الثورة، باعتبار أن الجزائر - وهذه قناعته - بحاجة إلى كل أبنائها، وإلى الوحدة والتضامن من أجل استعادة السيادة الوطنية.

ولأجل تحقيق هذه الغاية سعى إلى إقناع الطرفين لتخطي عقبات هذه المرحلة العصيبة وعدم التشبث بطروحاتهما ودعوتهما إلى مباركة العمل

الثوري الذي هو غاية كل المخلصين من أبناء الجزائر. ولما لم يفلح في مسعاه اقتنع بأنه لا فائدة ترجى لا من هؤلاء ولا من أولئك، فقرر فك الروابط السياسية والتنظيمية بينه وبين التيارين المتصارعين[22].

□ دوره في التحضير للثورة :

تميز نشاط مصطفى بن بولعيد في هذه الفترة بالجدية والفاعلية من أجل لم الشمل وتوحيد الصفوف، خدمة للقضية الوطنية المقدسة. وقد برز هذا النشاط المكثف بشكل واضح خلال اجتماع مجموعة الـ 22 الذي تمّ في دار «إلياس دريش» بحي المدنية بالجزائر العاصمة، يوم 24 جوان 1954، والذي تقرّر فيه بصفة قطعية تفجير الثورة المسلحة من أجل استعادة السيادة الوطنية وطرد الاستعمار الفرنسي.



هنا في هذا المنزل
(منزل إلياس دريش)
بحي المدنية
(كلوصالامبي سابقا)
بالعاصمة، عقدت
مجموعة الـ 22
اجتماعها التاريخي،
يوم 25 جويلية
1954م



من الأعلى إلى الأسفل، من اليمين إلى اليسار :

الصف الأول من اليمين إلى اليسار : مختار باجي، رمضان بن عبد المالك، مراد ديدوش، لخضر بن طوبال، عمّار بن مصطفى بن عودة، رابح بيطاط.

الصف الثاني من اليمين إلى اليسار : مصطفى بن بولعيد، يوسف زيغود، بوجمعة سويداني، أحمد بوشعيب، محمّد مرزوقي، عثمان بلوزداد.

الصف الثالث من اليمين إلى اليسار : محمّد العربي بن مهيدي، السعيد بوعلي، سليمان ملاح، عبد القادر العمودي، عبد السلام حبشي، محمّد مشاطي.

الصف الرابع من اليمين إلى اليسار : عبد الحفيظ بوصوف، محمّد بوضياف، إلياس دريش، الزبير بوعجاج.

ونظرا لاعتبارات وجيهة أسندت لمصطفى بن بولعيد بإجماع الحاضرين رئاسة هذا الاجتماع التاريخي، والذي كان من بين ما تمخّض عنه تقسيم البلاد إلى خمس مناطق ثم إلى ست في المرحلة اللاحقة وتعيين مسؤوليها.

وقد كان لمصطفى بن بولعيد دور ريادي بمعية رفقائه في النضال وهم : مراد ديدوش ومحمّد بوضياف ورابح بيطاط في الاتصال بقيادة المنظمة الخاصة (L'os) بمنطقة القبائل (كريم بلقاسم واعمر أوعمران)، لتوضيح المواقف ورفع اللبس الناتج عن الصراع القائم بين اللجنة المركزية وزعيم الحزب. وقد ترتب عن ذلك تبني المنطقة للعمل الثوري كسائر المناطق الأخرى.

وقد تم في اجتماع الـ 22 السالف الذكر تشكيل المناطق الخمس المشار إليها، وتعيين مسؤوليها

على النحو الآتي :

- ❑ **المنطقة الأولى : الأوراس**

- **المسؤول** : مصطفى بن بولعيد

- ❑ **المنطقة الثانية : الشمال القسنطيني**

- **المسؤول**: مراد ديدوش

- ❑ **المنطقة الثالثة : القبائل**

- **المسؤول** :بلقاسم كريم

- ❑ **المنطقة الرابعة : الجزائر العاصمة ونواحيها**

- **المسؤول** :رابح بيطاط

- ❑ **المنطقة الخامسة : القطاع الوهراني**

- **المسؤول** :محمّد العربي بن مهيدي.

أما محمّد بوضياف فقد عيّن منسقا عاما.

وبعد الخطوات العملية التحضيرية لتفجير الثورة المسلّحة، ومن أجل حشد كافة الوسائل المادية والبشرية لذلك، انتقل مصطفى بن بولعيد رفقة : ديدوش مراد، ومحمّد بوضياف، ومحمّد العربي بن مهيدي إلى سويســـرا في جويلية 1954م، قصد الاتصال بأعضاء الوفد الخارجي (أحمد بن بلة ومحمّد خيضر وحسين آيت أحمد) لاطلاعهم على نتائج اجتماع مجموعة الـ22، وتتمثل المهمة التي أسندت لهم في الدّعاية للثورة وتمويلها بالأسلحة.

ومن أجل إعداد العدة لتفجير الثورة، انتقل مصطفى بن بولعيد رفقة كل من محمّد بوضياف ومراد ديدوش خلال شهر سبتمبر 1954 إلى ناحية «ميلة» وهناك عقدوا اجتماعا في ضيعة عائلة بن طوبال لدراسة التحضيرات الجارية لتفجير الثورة المسلّحة، وتحديد احتياجات بعض المناطق للأسلحة والذخيرة.



أعضاء لجنة الستة

من اليمين إلى اليسار :

الواقفون : محمّد بوضياف، مراد ديدوش، مصطفى بن بولعيد، رابح بيطاط.

الجالسون : محمد العربي بن مهيدي، بلقاسم كريم.



هنا بهذا المنزل (منزل مراد بوقشورة) بحي رايس حميدو
(بوانت بيسكاد سابقا) بالعاصمة ، اجتمع أعضاء لجنة الستة
لمراجعة مشروع بيان أول نوفمبر 1954

ونتيجة لما اتفق عليه في هذا الاجتماع، فقد تمّ في 8 أكتوبر 1954، نقل كمية من الأسلحة المخبأة بالأوراس إلى جهات عديدة من الوطن، حيث استفادت المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني) من ثلاثين قطعة، والمنطقة الثالثة (القبائل) من ثمانين قطعة، وفضلا عن الكمية الموزعة على المنطقتين، فقد تم توزيع ما تبقى من الأسلحة على الأفواج المشكلة للقيام بعمليات أول نوفمبر 1954، عبر مختلف نواحي منطقة الأوراس.

وبعد القيام بهذه المهمة، عاد مصطفى بن بولعيد ورفاقه إلى أرض الوطن، حيث اجتمعوا يوم 10 أكتوبر 1954، بحضور كريم بلقاسم ورابح بيطاط (في منزل بوقشورة مراد) في «رايس حميدو» (لابوانت سابقا) بالجزائر العاصمة، ومن بين ما تم الاتفاق عليه :

1 – إعلان الثورة المسلحة باسم جبهة التحرير الوطني.

2 – إعداد مشروع بيان أول نوفمبر 1954م.

3 – تحديد يوم 22 أكتوبر 1954، موعدا لاجتماع القادة التاريخيين الستة، لمراجعة مشروع بيان أول نوفمبر 1954م، وإقراره .

4 – تحديد منتصف ليلة الإثنين أول نوفمبر 1954، موعدا لانطلاق الثورة المسلحة[23].

وبعد هذا اللقاء الحاسم، وعلى أمل العودة للاجتماع مرة أخرى، في الموعد المتفق عليه قبل تفجير الثورة، واصل مصطفى بن بولعيد الزيارات العملية الميدانية، للعديد من الجهات رفقة بعض الرفاق لتقييم عملية تدريب المناضلين على استخدام

السلاح وصناعة الألغام والمتفجرات التقليدية، وبالخصوص في الأوراس، باعتباره مسؤولا عنها، بالإضافة إلى وقوفه ميدانيا على الحالة النظامية والتعبوية، في إطار التحضيرات العامة استعدادا لتفجير الثورة المسلّحة.

وفي الموعد المحدد (22 أكتوبر 1954) التقى كل من مصطفى بن بولعيد ومحمّد بوضياف ورابح بيطاط ومحمّد العربي بن مهيدي وديدوش مراد وكريم بلقاسم في منزل (مراد بوقشورة)، وفيه اتفقوا على نص بيان أول نوفمبر 1954 بعد مراجعته، والتأكيد بصفة نهائية على الساعة الصفر من ليلة أول نوفمبر 1954 كموعد لتفجير الثورة التحريرية، مع التزام الجميع بسرية هذا القرار التاريخي إلى حين تنفيذه.

وقبل افتراق المجتمعين، اتجه الستة إلى مصور في شارع (لامارن) بباب الواد، فأخذت لهم صورة تذكارية تاريخية، ثم افترقوا بعد ذلك كل صوب المنطقة التي يرأسها على أمل اللقاء بعد ستة أشهر من تاريخ تفجير الثورة، لتَقييم النتائج والتخطيط للمستقبل.

□ إشرافه على انطلاق الثورة في الأوراس:

لقد مرّ نشاط مصطفى بن بولعيد في منطقة الأوراس في إطار التحضير لتفجير الثورة المسلّحة، قبل انطلاقها وبعدها بمرحلتين أساسيتين : مرحلة التوعية والتعبئة، ومرحلة التسليح وتفجير الثورة.

1 ـ مرحلة التوعية والتعبئة :

لقد قام مصطفى بن بولعيد بدور رئيسي في تنفيذ الخطة الوطنية الهادفة إلى إعداد العدة لتفجير

الثورة المسلحة، حيث أشرف على سلسلة من الاجتماعات التحضيرية بمنطقة الأوراس، حرص خلالها على اختيار الرجال المتمرسين على الشدائد وركوب المخاطر وتنفيذ المهام التي ستسند إليهم، بالاضافة إلى وضع الأسس والقواعد السليمة التي ينبغي أخذها بعين الاعتبار لمواجهة أعباء المرحلة القادمة ومخاطرها.

ومن بين هذه الاجتماعات، الاجتماع الذي انعقد في دار مسعود بلعقون بباتنة في شهر أفريل 1954، وكان من بين الحاضرين شيهاني بشير، وعاجل عجول، وعباس لغرور، ومصطفى بوستة، وعبيدي محمد الطاهر «المدعو الحاج لخضر»، وأحمد نواورة ومحمد شريف بن عكشة، وفيه قدم مصطفى بن بولعيد عرض حال عن الوضع السياسي العام في البلاد، إلى جانب تصوره الشخصي لمجريات الأمور، التي تدعو للاطمئنان والتفاؤل بخصوص تفجير الثورة[24].

ومن بين الأوامر والتعليمات التي أعطاها للحاضرين في هذا الاجتماع، القيام بعملية الانتقاء الدقيق في صفوف المناضلين وتصنيفهم ضمن قوائم حسب الشروط والكيفيات التي حددها لهم كالتحلي بكتمان السر والقدرة على تحمل الأعباء والإخلاص واللياقة البدنية، والخبرة باستعمال السلاح الخ ...

وفي شهر أوت 1954 أشرف مصطفى بن بولعيد على اجتماع بضيعته بتازولت، ضم بعض المناضلين القياديين، خصص لدراسة الوضع العام بمنطقة الأوراس وفيه تقرر إعداد قوائم إحصائية للمناضلين وكذا الأسلحة المتوفرة، والتى ستقدم في الاجتماع المقبل.

وفي 30 سبتمبر 1954، أشرف مصطفى بن بولعيد على اجتماع بضواحي باتنة، ضم الإطارات

المسؤولة عن نواحي منطقة الأوراس، مثل شيهاني بشير وحجاج بشير وعباس لغرور، وفي هذا الاجتماع قدمت العروض وقوائم الأسلحة المطلوبة (في الاجتماع السابق)، بالاضافة إلى ضبط رزنامة العمل.

2 ـ مرحلة التسليح وتفجير الثورة :

بعد الجولات المتعددة التي قام بها مصطفى بن بولعيد عبر نواحي منطقة الأوراس واتصالاته بالمناضلين، ومعاينته للوضعية العامة ووقوفه على مدى التنظيم والإستعداد المادي والمعنوي لمواجهة مقتضيات المرحلة القادمة، أشرف في 24 أكتوبر 1954 على اجتماع بلقرين في دار عبد اللّه بن مسعودة المعروف بابن (امزيطي) حضره العديد من مساعديه، من أمثال : شيهاني بشير، وعباس لغرور، وعاجل عجول، والطاهر نويشي، وفي هذا

الاجتماع أعلن مصطفى بن بولعيد للحاضرين عن تاريخ قيام الثورة، وفي نفس الوقت تم توزيع بيان أول نوفمبر 1954 على الحاضرين، بالاضافة إلى ضبطه لكمية الأسلحة المتوفرة وتوزيعها نظريا على مختلف الجهات[25].

وفي 30 أكتوبر 1954 أشرف مصطفى بن بولعيد على اجتماعين الأول بدشرة أولاد موسى (إشمول)، والثاني بخنقة لحدادة ضم العديد من أفواج المناضلين، حيث ألقى خطابا مفعما بالحماس،تعرض فيه إلى أهداف الثورة وأبعادها التحررية، مثنيا على طلائع المناضلين الماثلين أمامه، ومحددا بالمناسبة، مجمل المواقع المدنية والعسكرية المقرر ضربها في تلك الليلة (أي ليلة أول نوفمبر)عبر نواحي المنطقة مبرزا لقادة الأفواج الأهداف المرجوة من ذلك، منها على سبيل المثال :

1 – تحرير الإرادة الثورية الوطنية.

2 – تحطيم البنية التحتية للعدو.

3 – إحداث صدمة نفسية قوية في أوساط العدو بشقيه المدني والعسكري.

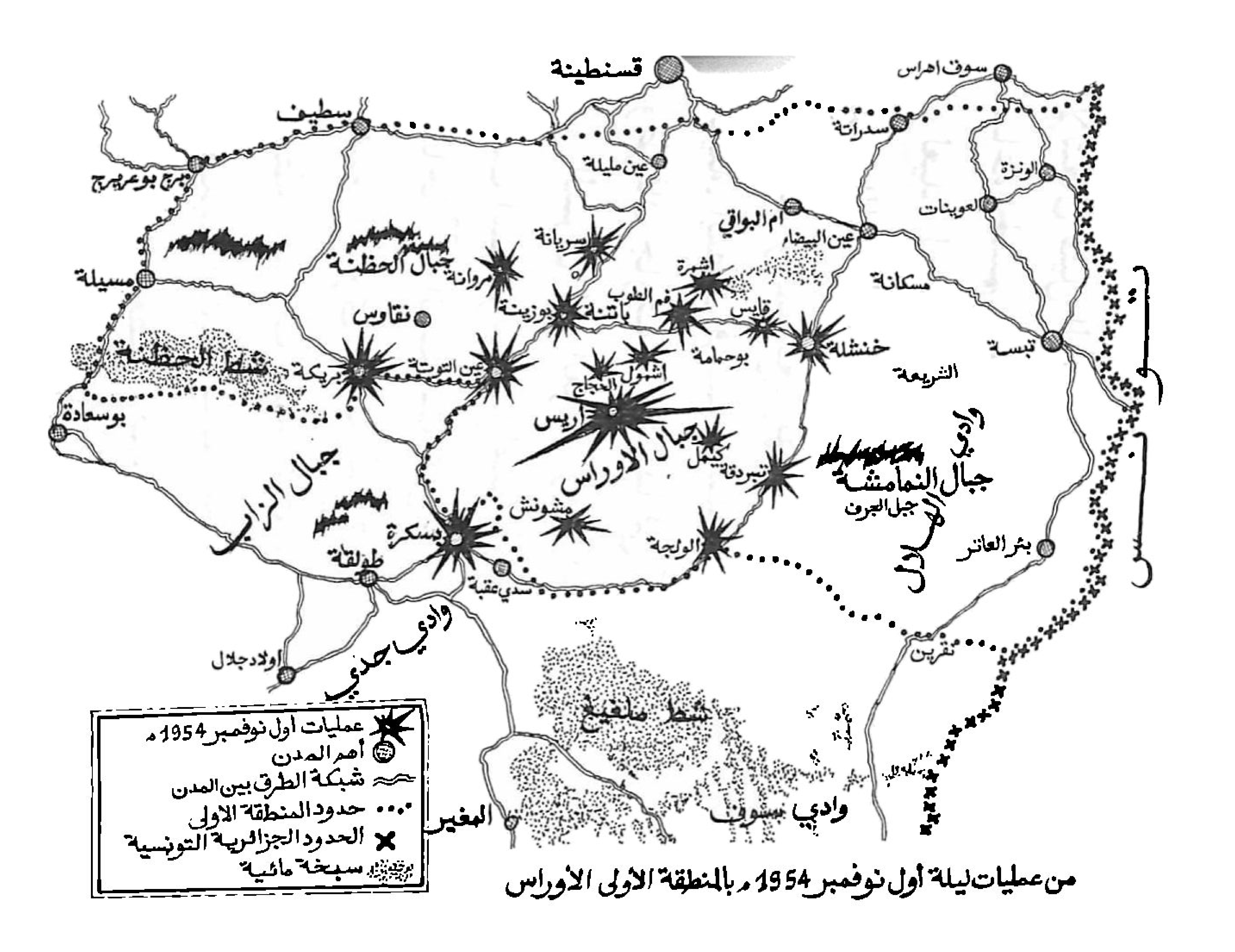
4 – إظهار قوة جيش التحرير بمظهر الجيش المنضبط والمنظم عبر كامل منطقة الأوراس والوطن ككل.

وفي اجتماع ليلة 31 أكتوبر 1954 أقرت الترتيبات النهائية في اجتماع ضمّ قادة النواحي والأقسام ومسؤوليها بناحية إشمول، واستقر الرأي فيها على تحديد دشرة أولاد موسى وخنقة لحدادة كنقطتي تجميع أفواج جيش التحرير الوطني لاستلام السلاح وتلقي التعليمات الضرورية، ثم الانطلاقة نحو الأهداف المحددة.



من مثل هذه الديار (دشرة أولاد موسى) انطلقت أفواج المجاهدين ليلة أول

نوفمبر 1954 لتفجير الثورة



من عمليات ليلة أول نوفمبر 1954 م بالمنطقة الأولى الأوراس

ويتضح من خلال التحضيرات السابقة، أن كل الاحتياطات قد اتخذت وأن الوسائل الضرورية لإشعال فتيل الشرارة الأولى، قد هيئت، ولما دقت ساعة الحسم، وفي الليلة المشهودة، قال مصطفى بن بولعيد، لرفقائه : «إخواني سنجعل البارود يتكلم هذه الليلة[26]». وفعلا تكلّم البارود في عدد من الجهات والمواقع، إنها ثلاثون عملية عرفتها تلك الليلة، أيقظت فرنسا الاستعمارية على زلزال شامل وطوفان جارف هز كيانها في كل الجزائر، المنتفضة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب، حيث استمرت متزامنة إلى غاية الساعة الثالثة صباحًا[27]، انبثقت عن هذه الشرارات، ثورة نوفمبر الكبرى، تلك الثورة التي انطلقت بأدوات بسيطة وأهداف نبيلة، فجّرتها الطلائع الأولى من المجاهدين الذين كانوا مسلحين ببنادق الصيد والخناجر والعصي، ضد ستين ألف جندي فرنسي وثلاثة فيالق من رجال المظلات.

لقد أحدثت تلك الصدمة أثرها المطلوب، فبدأ العمق الاستراتيجي للثورة يغذي جيش التحرير الوطني بالمئات ثم الآلاف من الشباب فانتشرت رقعة العمليات واشتد لهيب الثورة ليشمل كل شبر من أرض الجزائر[28]. وقد حاول الإستعمار الفرنسي من خلال التسميات العديدة التي أطلقها على العمليات المسلحة، تشويه الثورة ووصفها بشتى الأوصاف، وأن ما يقوم به المجاهدون البواسل ما هو إلا عمليات تخريبية تقوم بها جماعة من قطاع الطرق والفارين من السجون، وفي الوقت نفسه، يخفي العمليات الناجحة للثورة، ويضخم من نجاح عمليات قوات المظليين في جبال الأوراس، حتى يظن المرء من خلال تلك البلاغات العسكرية، أن الثوار قد سقطوا كلهم قتلى وجرحى، وأن الثورة أصبحت محصورة في مكان محدد وزمان معين، وبالتالي فهي محدودة الفعالية والأهمية[29].

□ تصديه لرد الفعل الفرنسي في المنطقة:

لا شك في أن اندلاع الثورة التحريرية في الجزائر في هذا الوقت بالذات، قد شكل مفاجأة للجميع، وخاصة بالنسبة للاستعمار الفرنسي بشقيه المدني والعسكري، وقد برز ذلك وبشكل واضح في الرد السريع لسلطات العدو، حين حاولت التقليل من شأن عمليات ليلة أول نوفمبر الخالدة، والتخفيف من أثرها وصدمتها على نفسية الأوروبيين، وكل ذلك يتضح في البلاغ الرسمي الذي أصدره صباح أول نوفمبر 1954 الحاكم العام الفرنسي للجزائر وقتئذ، «روجيه ليونار»، وفيه عدّد الخسائر التي لحقت بجنوده ووصف مفجري الثورة بالمجرمين والإرهابيين، وهذا نصه : «حدثت أثناء الليل بمناطق مختلفة من الأرض الجزائرية وعلى الأخص في شرق قسنطينة بمنطقة

الأوراس عدة عمليات حربية مختلفة، بلغ عددها ثلاثين عملية، قامت بها فرق صغيرة من الإرهابيين، وقد نجم عنها قتل ضابط وجنديين في مدينتي خنشلة وباتنة وجنديين من حراس الليل بمنطقة القبائل، وكذا أطلق الرصاص على مركز الجندرمة، وألقيت بعض القنابل الحارقة المصنوعة محليا، ولكنها لم تسبب أضرارا، في مخازن شركات الحبوب ببلدة بوفاريك وشركتي "سليتاف" للحديد والفلين بمنطقة القبائل. ويؤكد الحاكم العام في هذا البلاغ أنه قد اتخذ فور وقوع هذه الحوادث، الإجراءات الحازمة السريعة واللازمة لمجابهة هذه الحالة والتي هي بين أيدي القائد العام، حيث يجري تنفيذها، كما يذكر أنه تم استدعاء بعض القوات الاحتياطية لتدعيم قواتنا بمناطق الحوادث، وأن الشعب يثق فيما يتخذه الحاكم العام من إجراءات لتهدئة الحال وضمان الأمن للقضاء على الأقلية المجرمة....»[30].

يعتبر هذا البلاغ - رغم أنه صادر عن العدو - بلاغا تاريخيا، حيث سجل أولى هجمات جيش التحرير الوطني الجزائري على أوكار الاستعمار الفرنسي، كما بين مدى الرعب الذي أحدثته العمليات الأولى في نفسية الحكام الفرنسيين.

وعلى إثر هذه العمليات التي قام بها مفجرو الثورة التحريرية، سارعت فرنسا إلى حشد ما كان يتوافر لديها من جنود ومعدات حربية، نحو العديد من الجهات التي وقعت فيها تلك العمليات وخاصة منطقة الأوراس.

والواقع أن القائد مصطفى بن بولعيد، كان يتوقع أن رد فعل العدو الفرنسي على عمليات أول نوفمبر سيكون قويا وسريعا، وهذا ما تم بالفعل، حين أقدم على تجميع قوات ضخمة من مختلف التشكيلات المدعمة بالآليات والمدفعية والطائرات

الحربية بمختلف أنواعها، وشرع في تطويق المنطقة، قصد جعل الثورة حبيسة بها، ومنعها من الانتشار إلى باقي أرجاء الوطن، في انتظار إخماد لهيبها نهائيا، حتى وإن أدى ذلك إلى تدمير كلي لكل مقومات الحياة وأساسياتها بالمنطقة.

وقد كان الجنرال «شاريير» في طليعة القادة العسكريين الفرنسيين المؤمنين بهذه الفكرة، فكرة انتهاج سياسة الأرض المحروقة وممارسة القمع بكل صوره وأشكاله ضد فئات الشعب دون تمييز في ربوع منطقة الأوراس.

وأمام هذا الحصار الشديد الذي ضربه الاستعمار الفرنسي على منطقة الأوراس، منذ لحظة انفجار الثورة اضطر مصطفى بن بولعيد رفقة مساعديه إلى التنقل إلى عدة مواقع منيعة بعمق جبال الأوراس لمراقبة الوضع من هناك وإعداد العدة

لمجابهة كل طارئ. وبعد مروره على قرية بوستة في شناورة وجبل اللوح، استقر في «الهارة» بالشمال الشرقي للشناورة حوالي عشرة أيام، حيث ظل يتابع من هناك تحركات العدو، وما كان يقوم به من قصف عشوائي للقرى والمداشر وحرق للمنازل، وقتل للأبرياء.

وفي مكان يدعى «عين توزالت» بنواحي الهارة، أشرف على اجتماعٍ ضم بعض الطلائع الأولى لمفجري الثورة، وفيه قيم عمليات ليلة أول نوفمبر، وتعرض إلى الجانب التكتيكي والمعنوي للمحارب.

وفي كل من «تافرانت» الواقعة جنوب مدينة أريس و«خنقة امعاش» و(إيشمول) وغابة بني ملول بكيمل و«حمام أولاد عائشة» بغرب مدينة أريس و«تارشا» بغسيرة وجبل «اللشعة» شرق اتكوت أشرف مصطفى بن بولعيد على عدة اجتماعات

ضمت العديد من مساعديه، بالإضافة إلى رؤساء الأفواج وبعض المجاهدين، وفيها تم التعرض إلى دراسة الوضع والتخطيط للمرحلة القادمة[31].

وفي هذه الفترة التي كانت قيادة المنطقة الأولى تدرس وتقيّم الأوضاع السياسية والعسكرية، كان العدو يحكم حصاره على كامل المنطقة، ويقوم بترحيل السكان عنوة عن قراهم وبالخصوص سكان «الـهارة» و«إيشمول» و«كيمل» و«يابوس»، مما أدى إلى التضييق على الثورة، والعمل على حرمانها إلى حدّ ما من الدعم المادي والمعنوي، وهو ما زاد في تعقيد الأمور وظهور متاعب وعقبات أمام مصطفى بن بولعيد ومساعديه.

وعلى الرغم من الظروف الصعبة التي مرت بها الثورة في مرحلتها المبكرة فإن أفواج جيش

التحرير الوطني المسلحة بالإيمان بالله وبعدالة القضية، كانت تدخل باستمرار في مواجهات عسكرية مباشرة مع العدو، رغم التباين الكبير بين الطرفين في العدد والعدة، وقد كان النصر في الكثير من هذه المنازلات حليف جيش التحرير الوطني.

ونتيجة لاستمرار ضغوطات العدو وتكثيف نشاطاته الميدانية عبر تراب المنطقة الأولى، من خلال الحشودات العسكرية بمختلف تشكيلاتها، المدعمة بمختلف الأسلحة بما فيها الجوية، وأمام الوضع العسكري المعقد للثورة، اضطر مصطفى بن بولعيد إلى تنظيم اجتماع لإطارات المنطقة بعين «تاوليليت» بناحية كيمل وفيه تم ضبط خطة محكمة لإجهاض مخططات العدو الهادفة إلى إخماد الثورة في المهد. وكان من بين القرارات التي اتخذت في هذا الاجتماع، إعادة تشكيل أفواج جيش التحرير وتوزيعها على النواحي والأقسام، ودعوتها إلى عدم

مـواجـهـة قـوات الـعـدو مـبـاشـرة إلا في حـالات الاضـطـرار. ومما يـروى عـنـه في هـذا الاجـتـمـاع أنـه خاطب الحاضرين بما معناه «نحن الآن محاصرون، من جميع الجهات، وقد مضى على كفاحنا شهران، وها هو العدو يحشد قواته ويمركزها في مختلف الجهات لمحاصرتنا وقطع التموين وعزل الشعب عنا، وقد يطوقنا بالأسلاك الشائكة، حتى نموت جوعاً، ولـهـذا يـجـب عـلـيـنـا أن نـوزع قـواتـنـا عـلـى أفـواج صغيرة، نبعث بها إلى جهات مختلفة مثل : المسيلة والصحراء ونواحي قسنطينة».

وتـنـفـيـذا لـهـذه الخطة الـوجـيـهـة الـتـي كـان قـد رسمها مصطفى بن بولعيد قبل اعتقاله، بدأت أفواج جيش التحرير الوطني في صيف 1955 في التحرك نحو المواقع المحددة لها، لإعادة الانتشار من جهة ونشر رسالة الثورة وتجذيرها في وسط سكان تلك المناطق من جهة ثانية.

وفي هذا الإطار امتد انتشار طلائع المجاهدين إلى جهات عديدة، حتى وصل البعض منها إلى أقصى الجنوب الشرقي من الحدود الليبية التونسية، حيث شرعت في القيام بالدعاية للثورة والتعريف بأهدافها، وتنظيم خلايا جديدة عبر الشريط الحدودي، مما أجبر السلطات الاستعمارية الفرنسية إلى نقل جزء من قواتها لمجابهة مستجدات الوضع هناك، وهو ما أدى إلى تخفيف العبء على المجاهدين بالأوراس نسبيا، والسماح لهم بنوع من حرية الحركة والنشاط وترتيب الأمور وفق مقتضيات المرحلة ومتطلباتها.

وتماشيا مع التطور الجديد الذي عرفته الطلائع الأولى لجيش التحرير الوطني في المنطقة وما جاورها فإن مستجدات الأحداث قد أفضت إلى حدوث أعباء جديدة، كان على قيادة الثورة بالأوراس أخذها بعين الاعتبار وتحمل أعبائها، وكانت مشكلة

التسليح في طليعة العقبات التي واجهت الثورة بالمنطقة.

ومن أجل دعم الثورة المسلحة وتمكين الأعداد المتزايدة من المواطنين الراغبين في الالتحاق بصفوفها، بما هو ضروري وأساسي من الأسلحة والذخيرة، قرر مصطفى بن بولعيد الانتقال شخصيا إلى المشرق لتحقيق هذه الغاية، بعدما تعذر عليه الحصول محليا على الأسلحة بالكيفية والكمية المطلوبة.

❏ سفره إلى المشرق وظروف اعتقاله:

إنطلاقا من عناية مصطفى بن بولعيد وحرصه على تقوية الثورة، وإمدادها بالذخيرة والأسلحة، لمواجهة المرحلة القادمة قرر مغادرة مقر

قيادته بجبل كيمل، بالأوراس في 24 جانفي 1955م، قاصدا قرية ابن قردان، مارا بـ(تبردقة) رفقة عمر المستيري ومجموعة من المجاهدين لمرافقته إلى غاية الحدود التونسية.

وبعد ثلاثة أيام من المشي في ظروف طبيعية وأمنية عسيرة وخطيرة في الوقت نفسه، وصل إلى «القلعة» حيث عقد اجتماعا ضم العديد من مجاهدي الناحية أطلعهم على الأوضاع التي تمر بها الثورة وأمدهم بالتوجيهات اللازمة لمواجهة مستجدات الوضع، وبالمناسبة فقد أرسل بعضهم كمبعوثين من قبله إلى جهات عديدة من الوطن، مثل : تقرت، ورقلة، سوق اهراس، خنشلة، خنقة سيدي ناجي، بعد أن زودهم بمعلومات وإرشادات تساعدهم على مواجهة المعضلات التي قد تجابه الثورة في هذه المرحلة المبكرة من عمرها.

وبعد هذا الاجتماع واصل مصطفى بن بولعيد رفقة عمر المستيري طريقهما نحو الهدف المحدد مرورا بناحية نقرين (تبسة)، فلما بلغا قرية (تامغزة) التقيا مصادفة بعمر الفرشيشي الذي أبدى رغبته في مرافقتهما كمرشد لهما[32]. ولما بلغ الثلاثة إلى «أرديف» وهي مدينة منجمية بالأراضي التونسية، يعمل بها عدد من الجزائريين، اتصل مصطفى بن بولعيد ببعض هؤلاء العمال، من بين المنخرطين في صفوف الحركة الوطنية (حركة الانتصار للحريات الديمقراطية)، والذين سبق له أن تعرف عليهم عندما سافر على نفس الطريق للالتحاق بليبيا في منتصف شهر أوت 1954م، لضبط خطة العمل وتأمين الطريق لإدخال الأسلحة والأموال للأراضي الجزائرية عن طريق «وادي سوف»، انطلاقا من القواعد الخلفية الواقعة بالأراضي الليبية، غير أن نتائج هذه الرحلة كانت سلبية لأن حلقة الاتصال

بوادي سوف قد انقطعت، ومن ثم تعذر الاستمرار في المهمة .

وقد ورد في بعض الروايات أن مصطفى بن بولعيد قد طلب من بعض المناضلين المهيكلين ضمن خلايا الحركة الوطنية بضرورة إنشاء تنظيم لجبهة التحرير الوطني داخل الأراضي التونسية بهدف تأمين طريق إيصال الأسلحة والذخيرة إلى داخل الوطن [33].

وفي إطار سعيه الحثيث لتمويل الثورة بالأسلحة والذخيرة، تواصلت العملية بعد اعتقاله بقرية «ابن قردان» الواقعة على الحدود التونسية الليبية يوم 11 فيفري 1955م (كما سيتضح لاحقا).

وكان مصطفى بن بولعيد قد تنقل بواسطة القطار انطلاقا من مدينة «ارديف» التونسية إلى

«المتلوي» ومنها إلى مدينة «قفصة» عبر الحافلة، حيث قضى ليلته بها رفقة مرافقيه، وبعد ذلك انتقل إلى مدينة «قابس» في اتجاه هدفه[34].

وحسب شهادة المجاهد الطاهر الزبيري، استنادا إلى ما سمعه من مصطفى بن بولعيد شخصيا بسجن الكدية بقسنطينة، بأن هذا الأخير كان على موعد مع المجاهد حجاج بشير (حسب اتفاق سابق بينهما) للالتقاء به في نقطة قرب «قابس» بالأراضي التونسية، إلا أن هذا اللقاء لم يتم بينهما، لكون السلطات الفرنسية قد اعتقلت المجاهد حجاج بشير قبل موعد اللقاء.

ولما علم مصطفى بن بولعيد بذلك، ومخافة أن يقع في قبضة الأعداء، غادر بسرعة مدينة «قابس»، في أول حافلة وجدها تسير في اتجاه «ابن قردان» رفقة عمر الفرشيشي، أما عمر المستيري

فقد تعذر عليه اللحاق بالحافلة لبعدها عنه، وعندما بلغت مدينة «مدنين»، صعدت إليها فرقة من (الصبايحية)، وكان مصطفى بن بولعيد يتوقع أن أفرادها سيقومون بعملية التفتيش لمعرفة هوية الركاب، إلا أن ذلك لم يتم أثناء الرحلة، فلما وصلت الحافلة إلى «ابن قردان» آخر نقطة في رحلتها وذلك وقت حلول المغرب، أمر أفراد فرقة (الصبايحية) جميع الركاب بالنزول والتوجه إلى مركز الشرطة، عندئذ أدرك مصطفى بن بولعيد خطورة الوضع، فطلب من صاحبه أن يقوم بنفس الخطوات التي يقوم بها، فاغتنم فرصة توجه الركاب إلى مركز الشرطة تحت حراسة مجموعة (الصبايحية) التي يقودها فرنسي برتبة عريف فانزاح قليلا عن الصف، فتبعه صاحبه وتسللا في اتجاه معاكس، في وقت بدأ فيه الظلام يخيم على المنطقة، وقد سارعت فرقة (الصبايحية) التي

تركت شأن باقي الركاب في تعقب أثر مصطفى بن بولعيد وصاحبه عبر الأنهج والمسالك.

وبعد المطاردة المثيرة، استطاعت فرقة (الصبايحية) أن تعثر عليهما في أحد البساتين وهما في حالة اختباء، ولما اقترب منهما أحد (الصبايحية) أشهر مصطفى بن بولعيد في وجهه مسدسه ثم أطلق عليه النّار، فأرداه قتيلا، وعلى إثر ذلك غادر وصاحبه المكان، وانطلقا بسرعة عبر الطريق الصحراوي نحو الحدود، وقد استغرق سيرهما على الأقدام طوال الليل، وعندما بدأت أشعة الصباح تلوح في الأفق توقفا عن السير، واتخذا مخبأ لهما في الرمال ليختفيا فيه عن أعين المراقبين، وهناك قضيا نهارا كاملا، فلما جاء الليل واصلا سيرهما نحو الحدود التونسية الليبية، وقد كان في حوزة مصطفى بن بولعيد بوصلة يستعملها للإهتداء بها نحو الهدف المقصود، إلا أنه بسبب

سقوطه مرارا على الأرض، ضاعت منه، ونفس الشئ حصل لمسدسه عدة مرات ولم يعثر عليه إلا بعد عناء وتلمس في الظلام الدامس.

وعلى الرغم من ذلك واصل مصطفى بن بولعيد ورفيقه طريقهما معتقدين أنهما يسيران في اتجاه صحيح، ولما أدركهما العياء والإرهاق والجوع، ولم تعد لهما قدرة على الحركة والسير، اختبآ في مكان قرب شعبة صغيرة في انتظار طلوع النهار، وما إن طلع النهار حتى كانت فرقة «الخيالة» قد طوقت المكان، وفي اللحظة نفسها رآهما أحد أفرادها، فطلب منهما الخروج من المخبإ، بعد أن طلب النجدة من أفراد الفرقة الذين كانوا موزعين على كامل المنطقة للبحث عنهما، وعندئذ أسرّ مصطفى بن بولعيد لرفيقه قائلا له : لندعه يقترب منا، وعندما يصير على مرمى من مسدسي فإنني أطلق عليه الرصاص، أما أنت فعليك أن تقفز بخفة

وتأخذ بزمام الحصان، لنواصل عليه فرارنا، إلا أن مسدس مصطفى بن بولعيد هذه المرة لم يعد صالحا للاستعمال بسبب ضياع قطعة منه، وعلى إثر ذلك هجمت عليهما الفرقة من كل جهة، ووجه أحد أفرادها إلى مصطفى بن بولعيد ضربة قوية بمؤخرة سلاحه، فسقط على الأرض صريعا، وفي اللحظة نفسها تم تقييده هو وصاحبه، وما إن وصل الضابط الفرنسي حتى وجه إليه ركلة قوية سببت له جرحا عميقا في أنفه، مما جعله يفقد وعيه، إثر هذه الضربة ولمدة طويلة، ولم يفق منها حتى وجد نفسه في أحد سجون تونس[35]، وبذلك تتم عملية اعتقاله وكان ذلك يوم 11 فيفري 1955م.

في اليوم الثالث من شهر مارس سنة 1955، قدّم مصطفى بن بولعيد إلى المحكمة العسكرية الفرنسية بتونس، وحكم عليه يوم 28 ماي 1955 بالأشغال

الشاقة مدى الحياة، وبعد ذلك نقل إلى قسنطينة لتعاد محاكمته من جديد أمام المحكمة العسكرية يوم 21 جوان 1955. وبعد المحاكمة الصورية، حكم عليه من جديد بالإعدام بتهمة الإخلال بالنظام العام والتآمر مع جهات أجنبية على أمن فرنسا وسيادتها، حسب زعم المحكمة.

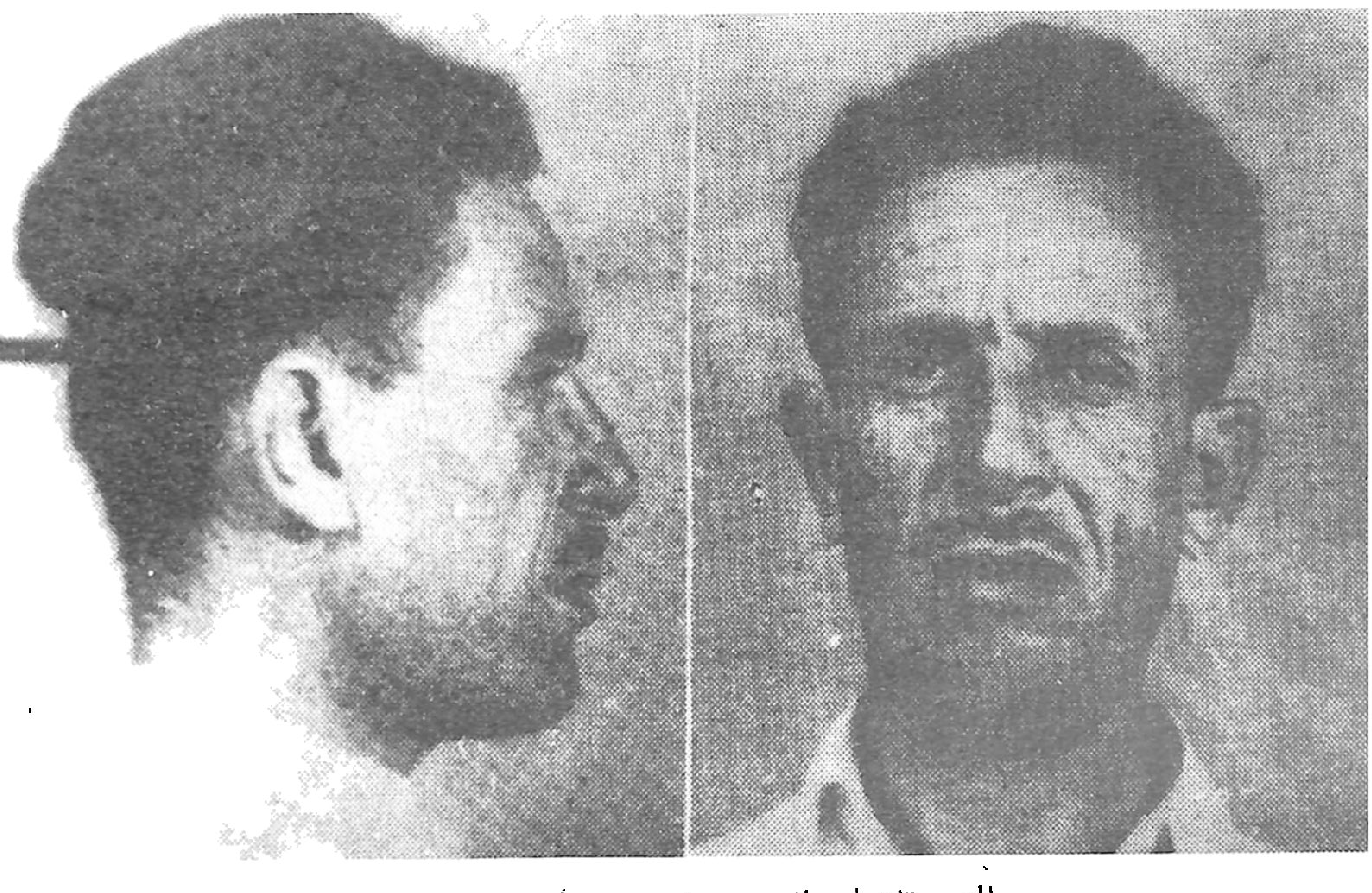
إن فترة الإعتقال والسجن، وما انطوت عليه من متاعب ومشقات نفسية وجسدية، لم تكن بالنسبة لمصطفى بن بولعيد نهاية للنضال، بل حافزا ودافعا قويا للعمل الجاد والمخلص، وبكل الوسائل والطرق الممكنة لمواصلة رسالة أول نوفمبر الخالدة، ومن أجل الضغط على السلطات الفرنسية الاستعمارية، وحملها على معاملة مساجين الثورة معاملة السجناء السياسيين وأسرى الحرب بما يتماشى والقوانين الدولية التي



هذه الصورة التقطت له أثناء إلقاء القبض عليه في بن قردان، وآثار الجروح بادية على أنفه نتيجة ضربه من طرف معتقليه



هذه الصورة ألتقطت لمصطفى بن بولعيد وهو في سجن "الكدية" بقسنطينة

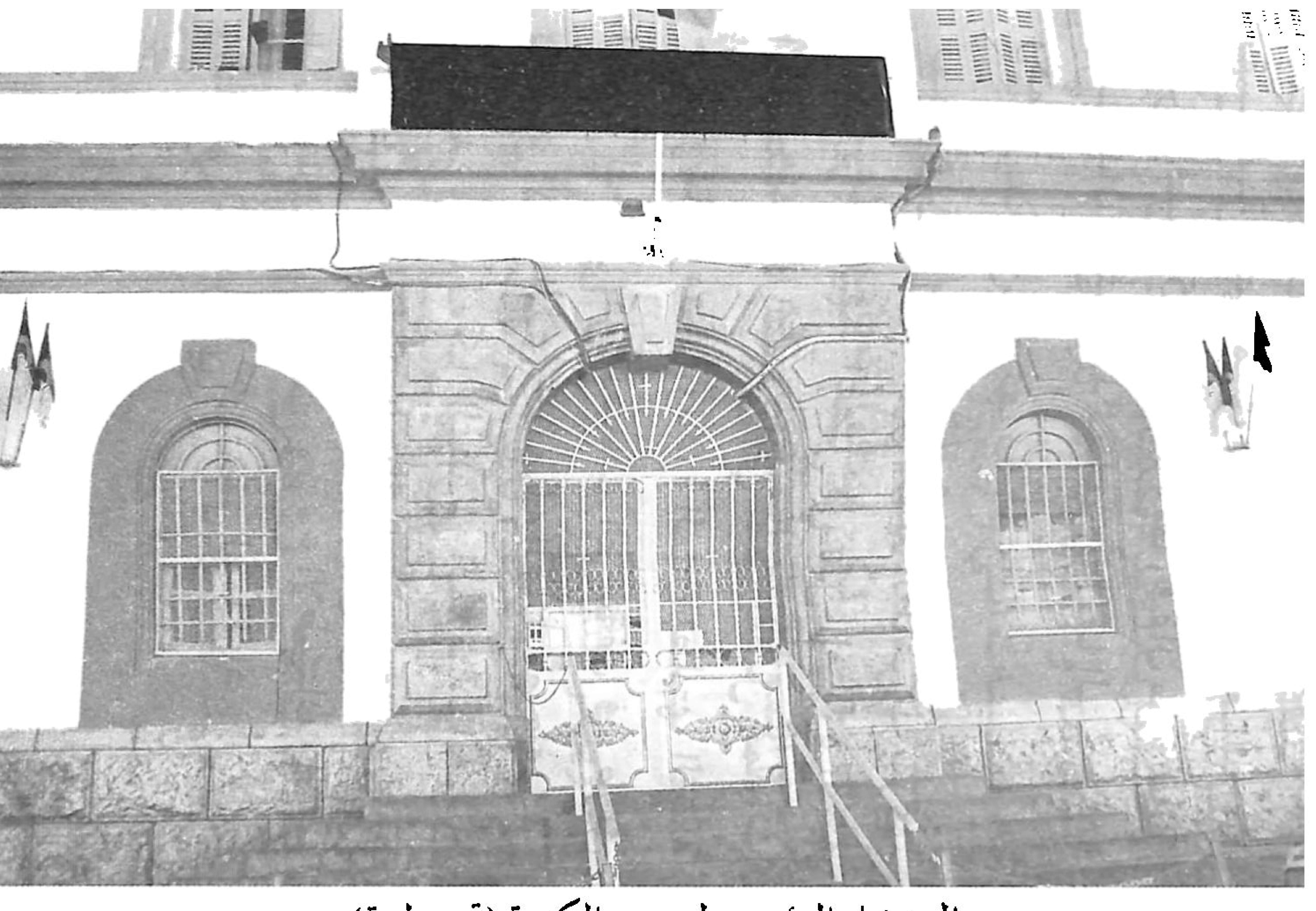


الصورتان لمصطفى بن بولعيد حين ألقي عليه القبض بابن قردان

تنص على ذلك، فقد قام مصطفى بن بولعيد في هذا الصدد بعدة مواجهات مع إدارة السجن والإدارة الفرنسية بصفة عامة كما سيتضح ذلك في قصة هروبه من السجن مما جعلها تذعن لبعض مطالبه المتمثلة في رفع بعض وسائل الضغط النفسي والإكراه البدني، كالقيود والسلاسل التي عادة ما كان يقيد بها المجاهدون في أثناء الليل والنهار، داخل زنزاناتهم المظلمة.

❑ قصة فراره من السجن :

رغم التحصينات والتعقيدات المتشابكة التي يتصف بها سجن الكدية بقسنطينة، والإجراءات الصارمة والاستثنائية التي فرضتها إدارة السجن على السجناء، وخاصة المحكوم عليهم بالإعدام، فإن الأمل ظل يراود مصطفى بن بولعيد ورفاقه للفرار منه، والعودة إلى ميدان الجهاد من جديد.



المدخل الرئيسي لسجن الكدية (قسنطينة)

وفيما يلي وقائع قصة فراره من سجن الكدية بقسنطينة والتي تمت أحداثها في العاشر من شهر نوفمبر 1955م كما يرويها رفيقان من رفقائه، وشاهدان عاشا أحداثها من أولها إلى آخرها وهما :

- محمّد العيفة، والعقيد الطاهر الزبيري، اللذان يرجع إليهما الفضل في نقل الصورة الحية المجسدة لهذه القصة، التي تمت بفضل عمليات جريئة وشاقة ومعقدة ونادرة المثال تطلبتها الخطة المعدة لتحدي كل الصعاب التي تقف في طريق تحقيق الأمل الذي خطط له القائد مصطفى بن بولعيد، وعبأ له كل النفوس المؤمنة والعزائم المخلصة، وظل وراء الخطة يدبر ويوجه، ويقاوم اليأس والشك والضعف، ويزرع الاطمئنان والأمل والثقة في النفوس إلى أن تحقق له ما أراد.

إن قصة الفرار هذه التي هزت سجن الكدية وزلزلت الإدارة الفرنسية تكاد تشبه القصص الأسطورية نظرا لتشابك أحداثها وتراكم الصعوبات والمعوقات أمام الذين صنعوا أحداثها، فالتحصينات التي يعرف بها سجن الكدية، يعد الإقدام على اختراقها أكبر مجازفة، عواقبها غير مأمونة، ولكن إيمان المجاهدين الصادقين وعزم المؤمنين المخلصين أقوى من كل ذلك.

ويذكر الذين رووا القصة أن المحكوم عليهم بالإعدام كانوا يوضعون في زنزانات مثنى مثنى أو ثلاث ثلاث وهم مقيدون بالأغلال ليلا ونهارا، وقد اعتبر مصطفى بن بولعيد هذه المعاملة إهانة ما بعدها إهانة، فاحتج على ذلك أمام إدارة السجن بوسيلتين:

الأولى : بالإضراب عن الطعام الذي دام 14 يوما.

والثانية : ببعث رسالة عن طريق المحامي إلى رئيس الجمهورية الفرنسية يستنكر فيها هذه المعاملة السيئة، ويستعجله تنفيذ الحكم، أو الكف عن الإهانة، وقد بلغ به الضعف والهزال حدا لم يستطع معه الوقوف على رجليه، حتى أنه أصبح ينقل من مكان إلى آخر على (Brancard) (نقالة)، حين يستدعي الأمر نقله إلى المواجهات والتحقيقات.

وقد أسهمت هذه الوضعية التي أصبح عليها مصطفى بن بولعيد، والاحتجاج الذي بادر به في التخفيف عنه، وعن رفقائه، بحيث نقلوا من الزنزانات إلى قاعة محصنة، وكانت تسمى القاعة المدرعة، ويحكى أنها كانت القاعة التي سجن بها

الشيخ بلحداد صاحب المقاومة المشهورة. وبهذا التحدي أصبحت إدارة السجن تفك أغلال السجناء بالنهار، وتسمح لهم بالخروج إلى ساحة السجن، مرتين في اليوم، في الصباح وبعد الظهر.

وهكذا، وجد المحكوم عليهم بالإعدام (رفقاء مصطفى بن بولعيد) أنفسهم في القاعة المحصنة، وفي نظام غير النظام السابق، مع تشديد الحراسة والمراقبة عليهم.

لقد سمحت هذه الوضعية باستئناف مصطفى ابن بولعيد دوره القيادي بين المجاهدين المسجونين، بحيث أصبح ينشط ويمارس دوره من خلال ثلاث مهمات :

– المهمة الدينية، لأنه أصبح يؤم الجماعة في الصلوات ويرشدهم ليجنبهم الوساوس والأحزان.

- المهمة السياسية، المتمثلة في التعبئة ومحاربة الضعف واليأس الذي يستولي عادة على نفسية السجين، ويؤثر في معنوياته.

- المهمة الثورية الجهادية، وتمثلت في الدعوة إلى تحدي الرقابة المشددة، واختراق التحصينات القوية للهروب من السجن، مع وضع خطة محكمة العناصر لهذا الهروب.

ويذكر العقيد الطاهر الزبيري أحد رواة القصة، أن فكرة الهروب من السجن كانت واردة منذ البداية، حتى عندما كانوا في الزنزانات. وأن الذي زرع الفكرة هو مصطفى بن بولعيد، ولكنها كانت تبدو شبه مستحيلة، فلم يكن أحد من رفقائه مقتنعا بجدواها، حتى أقرب المقربين إليه.

كان الأمل كله معقودا على إيجاد طريقة لتهريب قائد منطقة الأوراس مصطفى بن بولعيد،

لكن هذا الأخير كان ينطلق في فكرته من موقف الثائر المؤمن الذي لا يعرف اليأس إليه سبيلا، لذلك بقي مصرا على الفكرة متصديا لتردد رفاقه قائلا لهم : «علينا أن نحاول حتى ولو كانت نسبة النجاح ضئيلة، فالمحاولة في حد ذاتها موقف بطولي، ورجولة وعمل يدعو إلى الفخر[36]».

ونستطيع تتبع فصول هذه القصة من خلال ما يلي :

– إن نقطة البدء كانت الاتفاق على ضرورة التفكير في عناصر الخطة التي بها يستطيع السجناء أن يتحدوا كل العقبات، ليتمكنوا من الفرار، ويعودوا إلى ميدان الجهاد الذي ينتظرهم، وبعد الإمعان والتدبر في مجمل الخطة توصلوا إلى حصر تلك العناصر في أربعة أمور أساسية وهي :

أولا : دراسة وضعية السجن من جميع

الجوانب لمعرفة الظروف والشروط التي قد تساعد على إنجاز خطة الفرار مع تجنب المجازفات قدر الإمكان، وقد أفادت في هذا المجال معلومات قدمها بعض من يعرفون طبيعة هذا السجن، ومنهم حجاج بشير أحد المسجونين الذي سبق له أن عرف سجن الكدية، هذه المعلومات أوضحت لمصطفى بن بولعيد ورفقائه أن بجنب القاعة، التي تضم المحكوم عليهم بالإعدام مخزنا أو مستودعا مخصصا للأشياء والأدوات المهملة ويسهل الوصول إليه والاستفادة مما فيه إذا تم اختراق الأرضية الصلبة وإحداث نفق تحت الجدار الفاصل، ومنه يمكن الوصول إلى الجهة التي تُقرّب الفارين إلى السور الخارجي، ويعني هذا أنه بالإمكان إحداث منفذ (فتحة) تحت الجدار السميك الفاصل بين القاعة المحصنة (Blindé) «بلاندي» وبين المخزن الذي هو عبارة عن بناء

اصطناعي (Baraque) «براكة» ومنه إلى السور الخارجي، كما أعطى معلومات حول التحصينات الموجودة في الجهات المختلفة حتى يتم اختيار الأسلوب المفيد والممكن، والجهة الملائمة.

ثانيا : دراسة الاحتمالات الممكنة.

بناء على هذه المعلومات بدأ التفكير في دراسة الفرضيات والاحتمالات التي يمكن اللجوء إليها في تنظيم خطة الهروب، وقد قاد هذا التفكير إلى احتمالات ثلاثة أساسية درست من جميع الجوانب، وهي على التوالي :

الاحتمال الأول : ويتمثل في اختطاف أحد الحراس وتجريده من سلاحه وملابسه ثم تعميم العملية على مجموعة أخرى من الحراس ليمكن استخدام ملابسهم والتنكر بزيهم مما يساعد على الخروج - ولكن هذا الاحتمال قد استبعد منذ

البداية، نظرا لأنه صعب التحقيق، وعواقبه غير مأمونة .

الاحتمال الثاني : ويتمثل في محاولة إحداث فتحة في سقف القاعة والخروج منها، وبعد ذلك تتم عملية الفرار، لكن بعد عملية الاستطلاع وجدت الجماعة أن السقف قوي وصلب يستحيل ثقبه، ومع ذلك حاولت حفره لاختبار مدى صلابته، وذلك عن طريق اصطناع سلم بشري (واحد فوق الآخر).

الاحتمال الثالث : وهو الذي اطمأنت له الجماعة ورأته ممكنا مع ما فيه من صعوبة ويتمثل في إحداث فتحة، أو نفق، في أرضية القاعة من الجهة المجاورة للمخزن (Baraque) (البراكة)، ليمكن التسرب منه إلى المخزن الذي يحتوي على أشياء يمكن الاستفادة منها في تنفيذ بعض إجراءات

الخطة، وخاصة في عملية تسلق الأسوار.

هذا الاحتمال هو الذي وقع اللجوء إليه لأنه ممكن من بعض الوجوه، ولأنه الاحتمال الذي لا يوجد احتمال آخر أقل منه مخاطرة.

ثالثا - وسائل تنفيذ الخطة:

بعد الاتفاق على الخطة اتجه التفكير إلى دراسة الإجراءات العملية ووسائل التنفيذ الممكنة والمتوفرة.

وقد استدعى تنفيذ الخطة استعمال مجموعة من الوسائل البسيطة التي أدت إلى نتائج عظيمة، وتتمثل في أدوات الحفر التي أمكن توفيرها، وفي وسائل اقتحام الأسوار والنزول من أعلاها وقد استعملت على النحو الآتي:

أ - أدوات الحفر: وقع اللجوء إلى قطعتي

حديد لا يتجاوز طولهما 20 سم، انتزعت إحداهما من شباك النافذة وهي عبارة عن (Crochet) مِحْجن (كروشي) وانتزعت الأخرى من الباب وهي عبارة عن (Pommelle) (بومال) كما وقع اللجوء إلى حَجَرة صغيرة صماء عُثر عليها في ساحة السجن، واعتمدت كمطرقة في عملية شق الأرضية الصلبة، وتفتيت المادة التي بُلِّطت بها.

وحرصا على ضمان النجاح فقد تم استعمال كل الإمكانات المتوافرة حتى الأشياء البسيطة مثل: : الخل، للتأثير على الإسمنت.

وقد حرصت الجماعة التي شاركت في إنجاز الخطة على إيجاد أسلوب عملي لتغطية المكان المحفور، حتى لا يراه الحراس حينما يطلون، كما حرصوا على تكثيف الحراسة في أثناء الحفر، حتى لا يكتشف الأمر.

ولكن بمجرد الشروع في عملية الحفر واجهتهم مشكلة إخفاء الصوت الذي يحدثه الحفر، فتم التغلب عليها بتكليف مجموعة من المساجين بالغناء والرقص والتطبيل، والضرب بالأقدام على الأرض، وقت الحفر، حتى يتصور الحراس أن الجماعة ترفه وتسلي عن نفسها، ثم ظهرت مشكلة أخرى، وهي كيفية التخلص من بقايا الحفر والأتربة والحجارة،التي كانت تستخرج من جراء الحفر، فكانت هناك طريقتان :

- الأولى : هي حمل الأتربة وتصريفها في المراحيض بكيفية تيسر تسريبها، ولا تؤدي إلى انسدادها.

- ثانيا : هي حمل الأتربة والرمال في أواني التنظيف وصبّ سائل (Cresyl) (الكرزيل) عليها ليتغير لون الرمل والتراب، ثم

إخراجها خارج القاعة وإلقاؤها في مرحاض ساحة السجن، وقت الخروج، مع التظاهر بالمشاركة في التنظيف. أما الحجارة فكانت تعاد إلى مكانها. حتى لا تظهر الفتحة المحفورة، وحتى يتصور الرائي أن ليس هناك شئ غير مألوف.

وحينما تقدم الحفر وتم اختراق الأرضية وظهرت الثغرة في أسفل الجدار وقع اللجوء إلى فكرة قصد من ورائها التمويه على الحراس. وذلك بإعادة القطعة المستديرة المنتزعة من الأرضية إلى مكانها. لتغطية الثغرة. باستعمال لباب الخبز ورماد السجائر، والصابون ومزج الكل ليصبح أشبه شئ بالملاط (الإسمنت المخلوط بالرمل)، والهدف هو استعماله وسيلة بناء وسدّ لحواشي القطعة حتى يبدو الأمر عاديا.

وانطلاقا من حرص مصطفى بن بولعيد على السرية التامة، وحذره من تسرب الأخبار، طلب من بقية المسجونين الذين لم يتحمسوا للعملية، بالتزام الكتمان

التام حتى ولو كانوا غير مشاركين، لأن الهدف هو انقاذ الجميع، وحتى يجعلهم ملتزمين، دعاهم إلى القسم على المصحف، بأن لا يفشوا أي سرّ مهما كانت النتائج، وإذا نجحت الخطة فهم في عداد المستفيدين من نتائجها، حتى ولو لم يشاركوا فيها.

بهذه الاحتياطات طمأن الجماعة التي تطوعت للعمل، وضمن السرية التامة، رغم أن الأعمال استمرت 28 يوما.

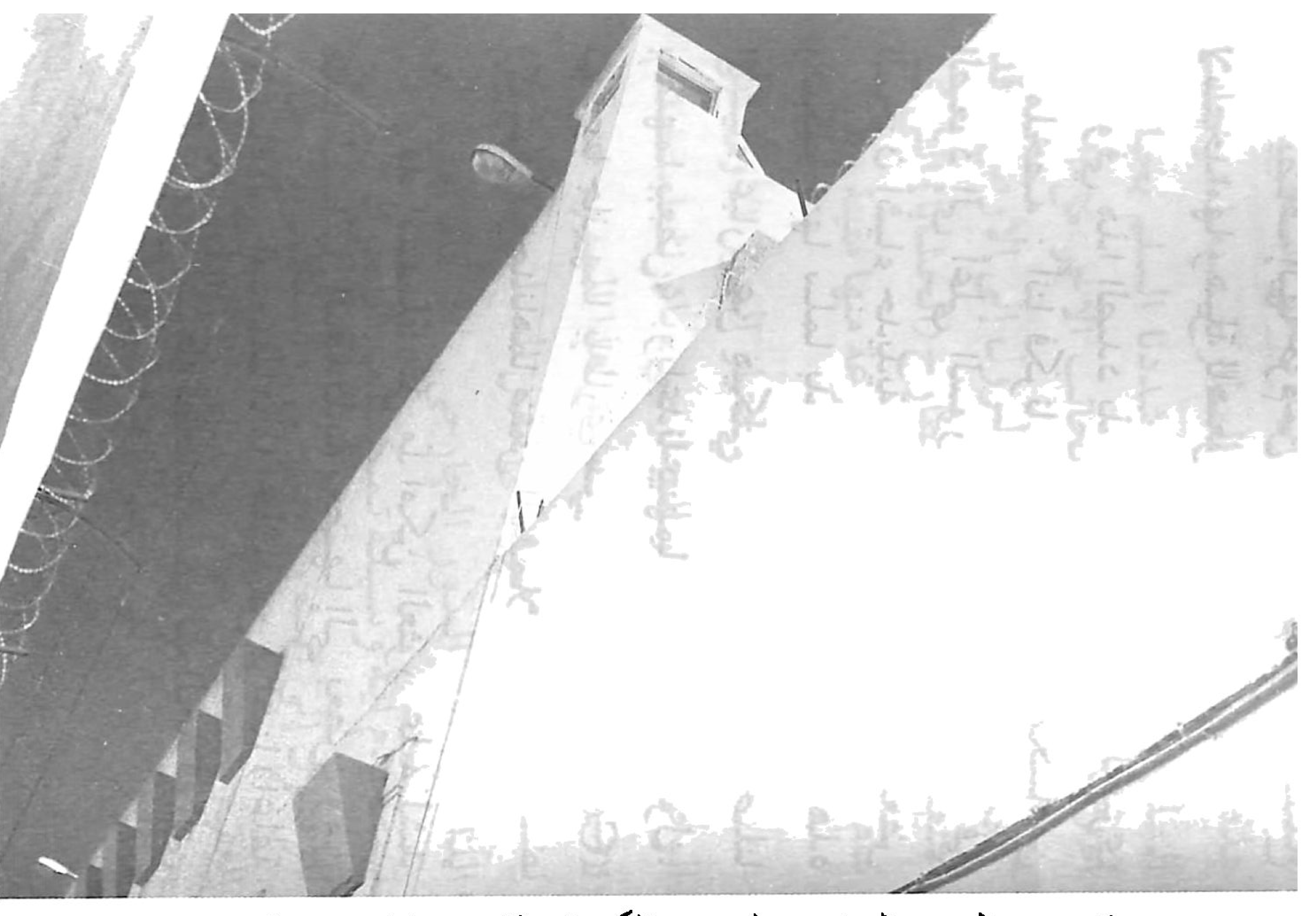
وكانت أوقات العمل هي الأوقات التي يكونون فيها داخل القاعة من الساعة (11 إلى 14.30) موعد الخروج، ومن السادسة مساء إلى التاسعة موعد النوم، إذ لا يمكن العمل بعد هذا الوقت لما فيه من خطورة، لأن الحراسة تشدد في هذا الوقت.

وبعد أن تم فتح النفق، وصار الممر جاهزا للتسلل من القاعة إلى المخزن، أصبحت الجماعة

وقتها تنقل الحجارة إلى المخزن المجاور، من الجانب الآخر.

ب - وسيلة تسلق الأسوار والنزول منها :

وبعد الإنتهاء من الحفر وإعداد النفق الذي يقرب طوله من ثلاثة أمتار تحت الأرضية -التي تربط بين القاعة والمخزن- وتهيئته للفرار، فكرت المجموعة في وسيلة تسلق السورين العاليين (السور الداخلي والسور الخارجي)، ولكن بعد معاينة المكان والاطلاع على ما كان موجودا في المخزن من أشياء، وأدوات قديمة، وقع الاهتداء إلى صنع سلم طوله 5 أمتار، أو أقل بقليل، وتتمثل الأدوات المعتمدة التي عثر عليها داخل المخزن في : هياكل أسرة فردية قديمة، وأطر حديدية (Cornière) (كورنيار) من بقايا سرير



جانب من السور الخارجي لسجن الكدية، الذي توغل عبره الفارون

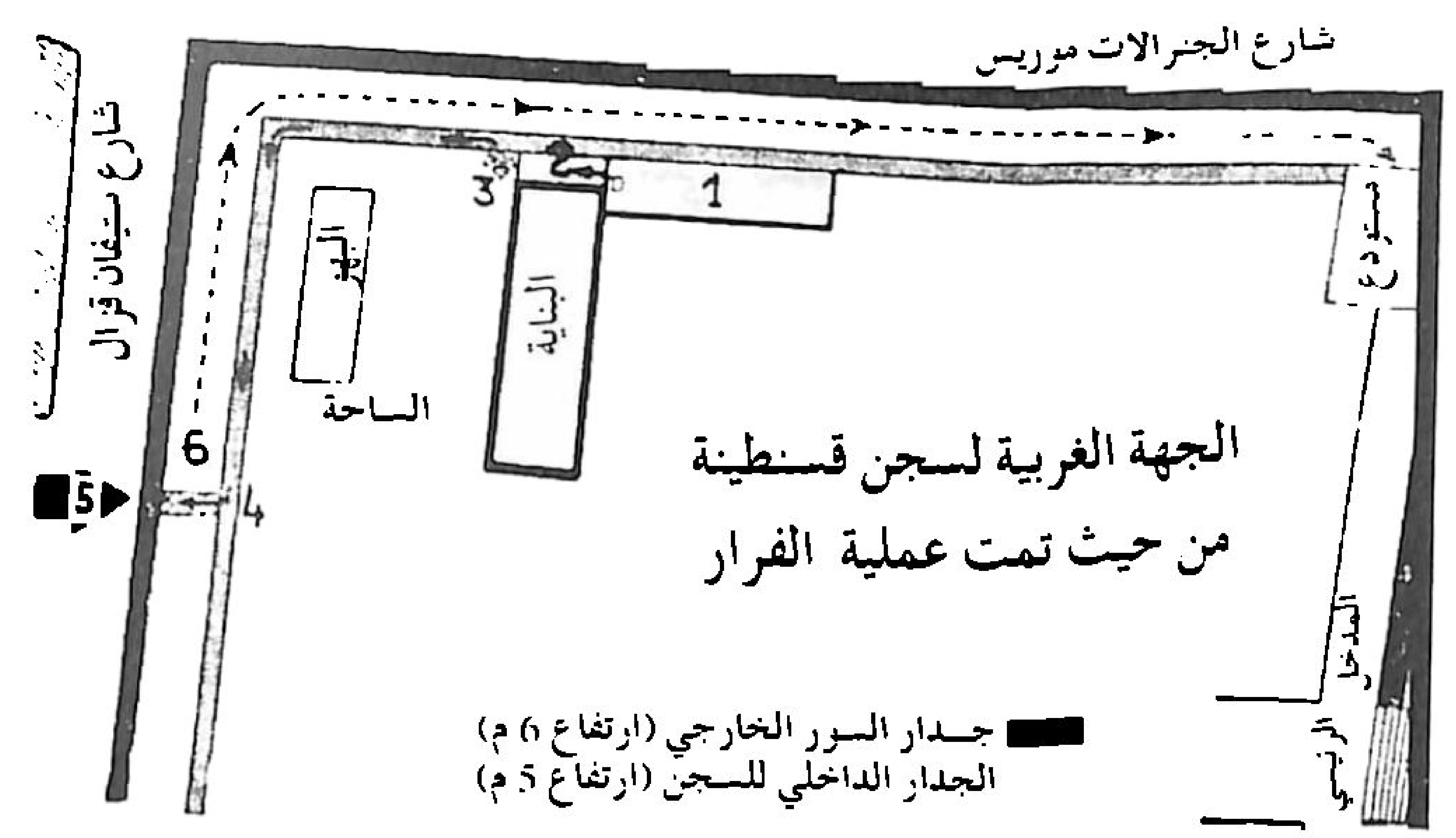
كبير، يضاف إليها حزم من الحلفاء (بوطات) تصلح لاستخدامها وسيلة للصعود كذلك.

وفي هذا الصدد يذكر العقيد الطاهر الزبيري ما ملخصه : أننا فكرنا في صنع سلم يمكننا من الصعود إلى أعلى السور، وهذا بعدما وجدنا في المخزن أشياء حديدية قديمة وصلنا بعضها ببعض وشكلنا منها سلما بدائيا بطول 4 أو 5م، وهذه الأشياء عبارة عن هيكلي سريرين فرديين وصلنا بعضهما ببعض، وباعدنا بينهما لنمدد في الطول، ثم قوينا جانبيهما بإطاري سرير كبير (Cornière) (كورنيار) وجدناهما ضمن المهملات.

وقد استعملنا كل ما أمكن العثور عليه لشدّ هذه الهياكل الحديدية بعضها إلى بعض، ومن الأشياء التي استعملناها ما أخذناه من فراشنا (أغلفة المطارح) من أشرطة قطعناها بشفرات الحلاقة التي

لا أتذكر كيف وصلت إلينا داخل السجن، ومن هذه الأشرطة وحواشي المطارح صنعنا درجات السلم وأحكمنا ربطها، وشددنا السلم بحبل في أعلاه، كي نلقي به في الجانب الآخر من السور، حتى نستعين به في وقت النزول إلى الأرض، وقد صنعنا الحبال من أغلفة المطارح (الحشايا) التي كنا ننام عليها، لأن المادة المصنوعة منها متينة وقوية.

وبما أننا مضطرون لاجتياز السور الأول قبل الوصول إلى السور الخارجي، بادرنا باستخدام وسيلة أخرى تمكن من تسلق هذا السور، حتى لا نضطر في كل مرة إلى نقل السلم من السور الداخلي إلى السور الخارجي، إذ كان علينا أن نستخدم أية وسيلة تمكننا من التحرك السريع للوصول إلى السور الخارجي، وقد تغلبنا على هذه العقبة باستعمال حزم الحلفاء (Balles) (البالات أو البوطات) التي وجدنا عددا منها في المخزن،



1 - مرقد المحكوم عليهم بالإعدام. حيث مكان انتزاع السطح الأسمنتي.

2 - غرفة خاصة بالسيملات وهي مجاورة لمرقد المحكوم عليهم بالإعدام.

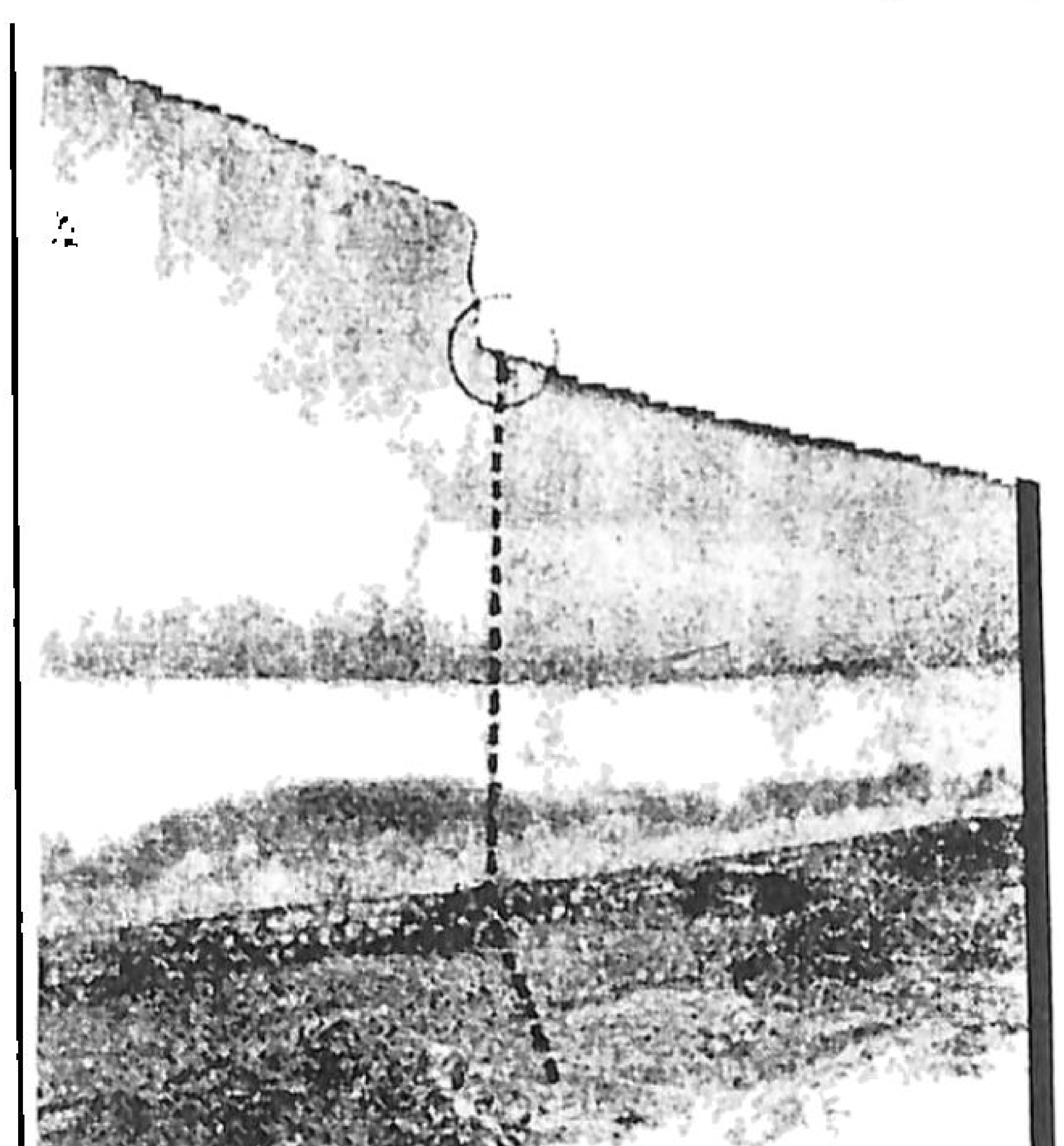
3 - تكديس حزم من الساف (Crin)، المستعملة في تسلق الجدار الداخلي، والسهام تدل على الطريق الذي سلكه الفارون فوق جدار السور.

4 - المصعد (مستحدد من مكونات سريرين) الذي ساعد الفارين الـ 11 على التوغل في حيز ذي 3 أمتار يفصل جداري السور.

5 - شارع ستيفان قزال (تمثله الصورة) الذي بلغه الـ 11 فارا.

6 - الموقع الذي سقط منه السجناء الـ 19. بعد تعثرهم في المرور بسبب عدم احترامهم للخطة المرسومة أثناء الفرار.

- الخطوط المتقطعة تمثل المسافة التي سلكها السجناء الـ 19 حتى المدخل حيث قبض عليهم من جديد.



- هذا هو السور الخارجي للسجن. والمطل على شارع ستيفان قزال «المكان الذي توغل عبره الفارون».
الدائرة تمثل موضع القرميد الذي ساعد على مرور الفارين.

—— جريدة La Depeche de Constantine، العدد 16.464، (1955/11/12)، ص : 1.

فرتبناها واحدة فوق الأخرى إلى أن أصبحت تشكل سلما ثابتا.

وهذا كل ما استطعنا أن نفعله، ولكن هذه الوسائل على بساطتها قد أدت ما كنا ننتظره منها، لولا الاضطراب الذي حدث بعد خروج المجموعة الأولى.

إن المتتبع لفصول هذه القصة والممعن في تفاصيلها وتقنياتها يقف مندهشا متسائلا : أي نوع من البشر، هذه المجموعة التي أقدمت على هذا العمل الجرئ وليس لديها من الوسائل إلا إيمانها وعزيمتها وثقتها في قدراتها ونظرتها الصحيحة إلى كل ما يفيد الثورة؟.

أي نوع من البشر هؤلاء الذين لا يملكون من الأدوات والوسائل المادية المعينة، على تنفيذ الخطة الجهنمية التي رسموها سوى قطعة من

الحديد في مواجهة أرضية سميكة وقوية و محصنة، ووضع صعب، ومع ذلك خرقوا الأرضية وفتتوا الحجارة، وفتحوا منفذا مكن الفارين من التسلل خارج القاعة المحصنة من غير أن يتفطن الحراس لذلك؟.

أي نوع من هؤلاء المجاهدين الذين تفاعلوا إيجابيا مع ذلك الوضع الصعب الذي وضعوا أنفسهم فيه، حين قرروا تنفيذ هذه الخطة، وهم على ما هم عليه: جماعة قليلة، وسائل منعدمة، حراسة مشددة، بناء محصن، ونتائج غير مؤكدة، ومع ذلك صنعوا أمرا يفوق الخيال، وأنجزوا مهمة كبيرة ستبقى الأجيال تذكرها على الدوام.

علينا أن نتصور الجهد العضلي والفكري الذي كانوا يبذلون! ونوع العناء النفسي والمادي الذي كانوا يتحملون، وما ضعفوا وما استكانوا، رغم

المدة الطويلة التي استغرقتها عملية الحفر، وما يتبع ذلك، فقد ظلوا طوال هذه المدة التي قاربت الشهر، يحفرون، ويردمون، وينقلون الأتربة، وبقايا الحفر، للتخلص منها، بكيفية لا تثير أية شبهة، ولم تثنهم الصعوبات والعقبات التي كانت تواجههم في كل مرحلة من مراحل الخطة، إلى أن أنجزوا - بنجاح - المهمة التي نذروا أنفسهم لها.

ثالثا : كيفية التعامل مع اللحظة الحرجة (لحظة التأهب للفرار).

بعد أن تمت عملية الحفر، وضبطت طريقة تخطي الأسوار، توجه تفكير مصطفى بن بولعيد إلى تنظيم عملية الفرار، لأن كل واحد يرغب في أن يستفيد من اللحظات الأولى، وبما أن الكلمة الأولى والأخيرة لمصطفى بن بولعيد فقد فكر في تنظيم عادل لطريقة البدء في الهروب وشرحها

لرفاقه، مؤكدا لهم أن أحسن طريقة هي إجراء القرعة لتحقيق مبدأ العدالة بين المجموعة ككل، موضحا بأن المجموعة التي قامت بالعمل، تستثنى من القرعة (هؤلاء يخرجون قبل غيرهم) ولا تشملهم القرعة.

وقد أبدى مصطفى بن بولعيد رغبته في أن لا يستثنى هو من القرعة، ولكن الجماعة ألحت عليه أن يكون ضمن المستثنين وعددهم ستة.

وفي هذه الأثناء ظهرت مشكلة طرحها مجاهدان يعيشان وضعا صحيا صعبا «وهما : شوقي السعيد، ونصيب محمد»، لا يسمح لهما بالهروب، ومع ذلك أبديا رغبتهما الشديدة في الهروب، ولما رأى مصطفى بن بولعيد إلحاحهما، حرص على إقناعهما باستحالة خروجهما، لأنهما مصابان بكسور تجعلهما عاجزين عن المشي فضلا

عن القفز من الجدران والجري، لأن وجودهما ضمن الجماعة الهاربة يعرقل، ويعرض الرفقاء للخطر، ولكنه وعدهما بأن يترك رسالة لإدارة السجن تبعد عنهما كل شبهة حتى لا يتعرضا بعد عملية الفرار للعقاب، وأخبرهما بأنه يُضمن الرسالة معلومات تفيد بأن الباقين لا صلة لهم بالعملية، ويهدد إدارة السجن إن هي تعرضت لهم بسوء، فالثورة ستنتقم شر انتقام بقتل عشرة من عائلة المعتدين.

رابعا : ساعة الحسم (ساعة التأهب لمغادرة السجن)

يذكر الطاهر الزبيري ما معناه : أننا كنا نتأهب للشروع في الهروب، بعد أن نفذنا كل إجراءات الخطة، ولكننا كنا نتوجس خيفة، كنا في أشد اللهفة والخوف : اللهفة للخروج، والخوف من أن

يكتشف الأمر في هذه اللحظة الحرجة، بعد الجهد الجهيد الذي بذلناه، كنا قاب قوسين أو أدنى من النجاة، ولكننا كنا نتحسس ما قد يحدث من مفاجآت تفسد علينا النشوة التي كنا فيها.

وقبل إدخالنا إلى غرفنا بخمس دقائق وإغلاق الأبواب، جاء الحارس إلى مصطفى بن بولعيد، وأخبره بأن محاميه يريدون مقابلته، فانزعج وانزعجنا معه، لأن هذا الأمر جاء في وقت كانت نفوسنا ترتجف فرحا وخوفا، لأننا كنا نتأهب للمغادرة، وفي الوقت ذاته كنا نحسب الدقائق والثواني التي تفصلنا عن ساعة الحسم (خروجنا من السجن)، وخشينا أن تعرقلنا هذه المقابلة غير المنتظرة، ولكن مصطفى بن بولعيد طمأننا وقال: إنني سأذهب إليهم، وأطلب منهم، تأجيل الزيارة إلى الغد، وأتذرع بكم على أساس أنكم تنتظرونني لأصلي بكم، وهذا ما تم فعلا.

لقد عاد بعد دقائق، وأدينا صلاة المغرب جماعة، ثم أدى كل واحد منا ركعتين تقربا إلى اللّه، طالبا منه الستر والنجاح.

وبعد ذلك بدأنا مباشرة في التسلل نحو النفق، بعد اقتلاع باب المخزن، ومنه توجهنا إلى السور الأول ثم السور الثاني، مستعملين السلم المعد للتسلق والصعود، ثم الهبوط نحو الفضاء الرحب، مستعينين بالحبل المربوط في أعلى السلم.

وقد اخترنا هذا التوقيت بالذات، لأنه الوقت الذي تتغير فيه دوريات الحراسة، أي أن الحراس الذين يجوبون الأسوار المحيطة ينزلون في هذا الوقت الذي يدوم أحيانا أكثر من عشرين دقيقة، قبل أن تتسلم الدورية الجديدة مهامها وتأخذ مكانها في الحراسة، إنه الوقت الكافي الذي يسمح لنا بتخطي الأسوار وتسلق الجدران والهروب، وهذا ما تم فعلا.

وهكذا انطلقت عملية الفرار حسب الخطة التي شرحت للمجموعة، وكان محمّد العيفة أول من تقدم المجموعة وتسلق السلم ليستطلع الوضع خارج الأسوار، ويتأكد من إمكانات النزول، بعد ذلك تلاه مصطفى بن بولعيد، ثم بقية الرفاق واحد بعد الآخر، حتى الحادي عشر :

1- مصطفى بن بولعيد (أريس) باتنة.

2- محمّد العيفة (سكيكدة).

3- الطاهر الزبيري (الوانزة).

4- لخضر مشري (بني صالح - بوحجار) عنابة.

5- علي حفطاري (خنشلة).

6- إبراهيم طايبي (سوق اهراس).

7- رشيد أحمد بوشمال (باتنة).

8- حمادي كرومة (سكيكدة).
9- محمد بزيان (تكوت) باتنة.
10- سليمان زايدي (يابوس) باتنة.
11 - حسين عريف (يابوس) باتنة.

وإثر ذلك حدثت فوضى بسبب الزحام وعدم احترام الترتيب الذي اسفرت عنه القرعة، هذه الفوضى أدت إلى سقوط السلم، وحدوث ارتباك كبير في صفوف السجناء، مما جعل البعض يعود إلى القاعة قبل أن يكتشف الحراس الأمر.

وفي أثناء نزول مصطفى بن بولعيد استند إلى قرميدة في أعلى السور فسقطت عليه وأدمت جبينه، ولكنه استطاع أن يواصل السير مع رفيقه محمد العيفة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى بقية الرفاق الذين ساروا جميعا في الاتجاه السليم، الذي رسمه لهم مصطفى بن بولعيد للخروج من المدينة، وكانت المقبرة هي المعلم.

الباب الذي تم الفرار منه
(سجن الكدية – قسنطينة)



ومما يذكر في هذا الصدد أن مصطفى بن بولعيد قدم لرفاقه قبل الانطلاق في عملية الفرار – توجيهات ألح على الالتزام بها؛ فقد طلب منهم أن يسلكوا الشعاب والسهول البعيدة عن أعين الجيش الفرنسي، وأن لا يحاولوا الاتصال بأي مواطن، وحذرهم من علب السردين والسجائر التي قد يعثرون عليها في طريقهم، قد تكون ملغمة، ووجههم إلى اختيار المسالك التي لا تظهر فيها آثار الأقدام، كما أمرهم بالتزود بشيء من السكر و«الشمة»، فالسكر يصلح لتجديد الطاقة، والشمة تصلح لتضليل الكلاب المدربة على البحث.

وهكذا سار مصطفى بن بولعيد ومحمّد العيفة في اتجاه معين، والجماعات الأخرى في اتجاهات أخرى، ولكن الجميع كان على علم بالوجهة التي ينبغي أن تتخذ، وبالمسالك التي ينبغي أن تتبع، مع حرصهم على تجنب الدروب غير الآمنة، لتأمين

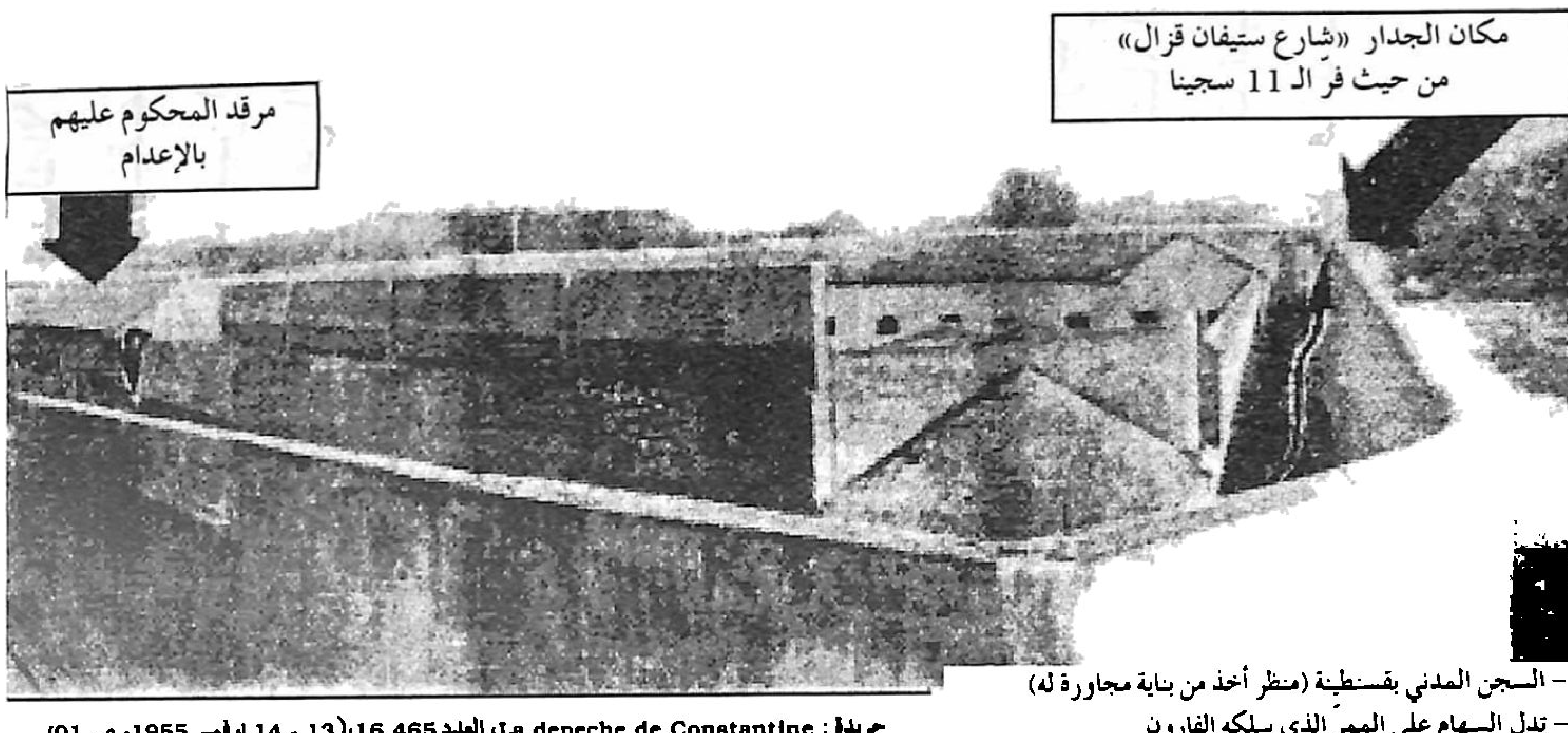
ظروف النجاة والالتحاق من جديد بمعاقل الثورة. لذلك ظلوا طوال الأيام والليالي التي قضوها مشيا على الأقدام؛ ينامون نهارا ويمشون ليلا، وكانت ظروفهم الصحية في أسوأ حال : بطونهم جائعة، وأقدامهم حافية ومنتفخة، وأجسادهم منهكة القوى، وجراحهم تنزف، والمسالك التي كانوا يسلكونها وعرة، والطرق المحيطة بها غير مأمونة، مما زاد في خوفهم وقلقهم. ولكنهم صبروا وثبتوا، فلم يجد اليأس إلى نفوسهم سبيلا. ظلوا على هذه الحال أياما وليالي، واجهوا كل أشكال المعاناة في أثناء انتقالهم من جهة إلى أخرى من غير دليل، ولكنهم بعد هذه المعاناة وصلوا إلى المراكز والجهات التي استقبلهم فيها المجاهدون والمواطنون استقبال الفاتحين، واحتفلوا بعودتهم سالمين احتفالا أنساهم ما لقوه من شدة وعناء.

هذا وقد وجدوا هناك الأخبار المتعلقة بهروبهم من السجن قد سبقتهم، نقلتها وسائل الإعلام، وانتشر الخبر بين الناس وسمع به المواطنون والمجاهدون. ومن الأنباء التي تواترت ونقلها سكان قسنطينة أن عملية الهروب قد أحدثت ارتباكا كبيرا لدى قادة الجيش الفرنسي، مما دفعهم إلى الانتقام من سكان قسنطينة، فاندفعوا في كل اتجاه وانتشروا داخل المدينة وراحوا يصبون غضبهم على السكان باقتحام منازلهم وكسر أبوابها وضرب من يجدونه فيها.

هذا ما كان من أمر الجيش الفرنسي، أما ما كان من سكان قسنطينة فقد شعروا بارتياح كبير وتبادلوا التهاني فيما بينهم - بعد انتشار الخبر - ووزع بعضهم المشروبات والحلويات تعبيرا عن الفرحة بنجاة مصطفى ابن بولعيد قائد منطقة الأوراس ورفقائه[37].

لا جديد يذكر عن المحكوم عليهم بالاعدام "الأحد عشر" الذين فروا من سجن قسنطينة

السيد (باترنو) (Paternot)، عضو في البرلمان بالجزائر، يطلب إستدعاء الحكومة حول هذه القضية الفاضحة.



– السجن المدني بقسنطينة (منظر أخذ من بناية مجاورة له)

– تدل السهام على الممرّ الذي سلكه الفارون

جريدة : La depeche de Constantine، العدد 16.465،(13 - 14 نوفمبر 1955م ص 01)

وإذا كانت قصة فرار مصطفى بن بولعيد ورفاقه من سجن الكدية بقسنطينة - قد تمت بتلك الطريقة المثيرة والعجيبة في الوقت نفسه - تجعل الكثير من النّاس ولاسيما منهم الذين لم يعيشوا ويلات السجون ومحنها أثناء فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر، لايتصورون مجرياتها وملابساتها ولايصدقونها، وأن الإقدام على تنفيذ خطتها، يعد في نظرهم مجازفة خطيرة للغاية، وعملاً بطوليا يُستحيل تحقيقه في تلك الظروف العسيرة في ظل الانعدام التام لأدنى وسيلة يمكن الاستعانة بها للإقدام عليها، فإن الواقع والتاريخ يؤكدان أنّ القصة قد وقعت بالفعل وأنها كانت من صنع رجال من جيل أول نوفمبر العظيم، هذا الجيل الذي لا يؤمن بالمستحيل، لأن سلاحه الأساسي الإيمان باللّه وبالوطن، والتضحية بكل غال ونفيس من أجل انتزاع حرية الوطن واستقلاله.

❑ نشاطه بعد فراره من السجن :

إن عودة القائد مصطفى بن بولعيد من المهمة الثورية - بعد المعاناة التي عرفها في الحدود التونسية إثر اعتقاله هناك، وبعد فراره الأسطوري من السجن واللحاق بالثورة - قد أحدثت ارتياحا كبيرا في أوساط الشعب والمجاهدين على الخصوص، فبعد مروره بجبل "بوعريف"، ثم "تازولت" واستراحته قليلا من معاناة الطريق وتلقيه العلاج، بسبب الجروح التي أصيب بها، نتيجة عملية الفرار والسير حافيا، انتقل إلى جبل "اوستيلي" ومنه إلى "كيمل"، ليبدأ من هناك سلسلة من اللقاءات والاجتماعات بإطارات الثورة ومسؤوليها بالناحية. وقد تمكن أثناءها من الاطلاع على الوضع العام بالمنطقة، ولا سيما الوضع السياسي والعسكري منه، قبل أن يعود ثانية إلى جبل "اوستيلي"، حيث مكث فيه قرابة أسبوع، اتصل خلاله بالعديد من

المسؤولين المحليين، الذين أطلعوه على مجريات الأحداث منذ غيابه عن المنطقة.

وبناحية جنوب "كيمل"، كان لقاء المجاهدين مع مصطفى بن بولعيد عظيما، حيث اجتمع بمجموعة من مجاهدي الناحية الثانية، ثم أقيم له على إثر ذلك وبحمام "شابورة" احتفال مهيب، بمناسبة عودته الميمونة، وقد عبّر المجاهدون عن فرحتهم وغبطتهم بنجاح عملية الفرار، وعودته سالما معافى، ليقودهم من جديد في معاركهم القادمة ضد العدو، الذي ألقى هو الآخر بكل ثقله في المعركة الدائرة بالجزائر.

ومن أجل إعداد العدة لمجابهة مخططات العدو، تابع مصطفى بن بولعيد جولته التفقدية إلى عدة أقسام مكّنته من الاطلاع على الحالة النظامية والعسكرية بالمنطقة الأولى (الأوراس).

ومن خلال هذه الجولة، أشرف مصطفى بن بولعيد شخصيا على قيادة مجموعة من أفواج لجيش التحرير الوطني، خاضت عدة معارك ضارية ضد العدو، منها :

معركة «إيفري البلح» بناحية غسيرة، يوم 13 جانفي 1956م والتي دامت يومين كاملين، أما الثانية، فقد جرت بجبل "أحمر خدو"، (غار علي بن عيسى) صبيحة يوم 18 جانفي 1956م.

وقد حقق المجاهدون في هاتين المعركتين بقيادة مصطفى بن بولعيد انتصارات باهرة، أعطت للثورة دفعا قويا، ولا سيما في المجال العسكري. وعلى إثرهما وفي غابة بني ملول بنواحي "كيمل" أشرف مصطفى بن بولعيد على اجتماع ضم قادة الناحيتين الشرقية والغربية لوادي العطاف، تسلم أثناءه مقاليد قيادة المنطقة الأولى (الأوراس)، التي كان يقودها أثناء غيابه وبالنيابة عنه شيهاني بشير.

واصل مصطفى بن بولعيد عقد سلسلة من الاجتماعات واللقاءات الدورية مع مختلف مسؤولي المنطقة الأولى، من بينها الاجتماع الذي دام انعقاده ثلاثة أيام من 11 إلى 13 مارس 1956م، وقد تمت فيه دراسة مختلف الأوضاع والقضايا المطروحة على جميع المستويات بالمنطقة، وكان من نتائج هذا الاجتماع رسم خطة محكمة لمواجهة المرحلة المقبلة، والتي كانت كل المؤشرات تنبئ بأنّها ستكون مرحلة شاقة وعصيبة.

كما أشرف على آخر اجتماع له بالجبل الأزرق يوم 22 مارس 1956م، حضرته إطارات المنطقة الأولى وبعض المسؤولين عن جيش التحرير الوطني بالصحراء، للبت في مجمل القضايا السياسية والعسكرية.

وكان من بين الحاضرين الشهيد "زيان عاشور" الذي استقبله مصطفى بن بولعيد استقبالا خاصا،

وقد حضر وقائع هذا الاجتماع المجاهد "فرحات الطيب" الذي يقول : «... كنت بصفتي مجاهدا بناحية بسكرة، أرافق "سي الحسين بن عبد الباقي" في هذه الرحلة، وأتذكر جيدا أننا ما كدنا نصل ناحية «تافرنت»، حتى وجدنا مصطفى بن بولعيد في جماعة قليلة من المجاهدين، وهو لا يتمالك نفسه من الفرح والسرور برؤية "سي زيان"، ولا يكف عن احتضانه وتقبيله ...»[38]، ثم التفت إلى الحاضرين قائلا : «... هذا الرجل المحنك، سيكفينا مهمة الصحراء»[39].

□ استشهاده :

كما هو معروف فإن استشهاد مصطفى بن بولعيد كان نتيجة انفجار جهاز إرسال واستقبال، كانت قوات العدو قد ألقت به جوا في المنطقة، وجيئ به إلى مكان الاجتماع، وعند محاولة تشغيله انفجر مساء يوم 22 مارس 1956 (بالجبل الأزرق)، فسقط على إثر ذلك مصطفى ابن بولعيد شهيدا مع خمسة من المجاهدين. وبذلك تصاب الثورة بضربة قوية، فقدت واحدا من أبرز أقطابها وفحولها الأقوياء. ورغم ذلك تبقى الثورة صامدة وقوية، تواصل رسالتها بجد وعزم حسب ما خطط لها حتى تستعيد البلاد حريتها وسيادتها.

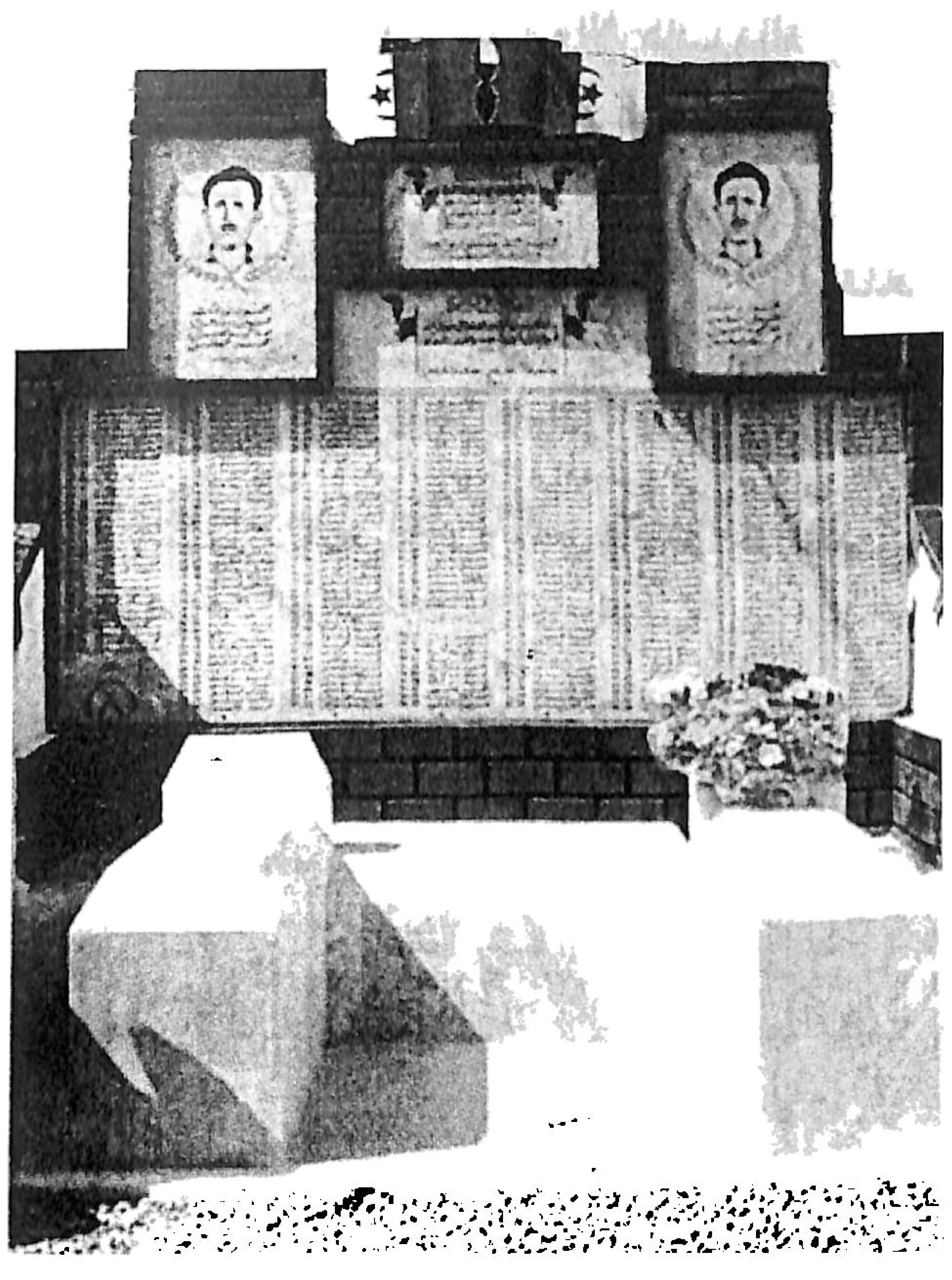
لقد شاءت الأقدار أن يستشهد البطل مصطفى بن بولعيد في وقت مبكر والثورة في

أمس الحاجة إليه باعتباره من كبار رجالاتها الذين خططوا لها ثم فجروها ليلة أول نوفمبر 1954.

وتبقى قضية استشهاد مصطفى بن بولعيد من بين القضايا العجيبة والمثيرة، لما يكتنفها من لبس وغموض، وتكفي الإشارة هنا إلى أن المؤامرة في أساسها قد تم التخطيط لها بعناية ودقة على مستويات عليا في الإدارة الفرنسية الاستعمارية ومخابراتها.

لقد كان مصطفى بن بولعيد بعد فراره من السجن من أكثر مسؤولي الثورة استهدافا من قبل العدو الفرنسي، لما يشكله من وزن تاريخي ونضالي، ليس على المستوى الوطني فحسب بل تعداه إلى رحاب المغرب العربي وحتى العالم العربي والعالم قاطبة، مما دفع بالسلطات الفرنسية الاستعمارية وعلى مستوى عال للتخطيط من أجل التخلص منه،

وقد أسندت مهمة تصفيته إلى كبار العسكريين المحترفين في عملية الجوسسة والإرهاب والغدر. لقد استهدفوا مصطفى بن بولعيد شخصيا، لأنه كان قائدا مغوارا وبطلا شجاعا، استطاع وفي وقت مبكر أن يحول منطقة الأوراس إلى أقوى قلعة للثورة وأشدها صمودا أمام جحافل العدو، حتى صار ذكر الأوراس وابن بولعيد مقرونين بالثورة والجهاد والمواقف البطولية التي بلغت حد المثالية.



ضريح

الشهيد مصطفى بن بولعيد (بنارة)

من أقواله المأثورة

– عندما شارك في انتخابات المجلس الجزائري، سنة 1948م، قال : «... إذا نجحت عند الشعب، فلا يهمني النجاح عند فرنسا»[40].

– ومما جاء في خطابه أمام رجال عباس لغرور في سبتمبر 1954م، قوله : «... ستحمل الجزائر السلاح قريبا، لخوض المعركة ضد فرنسا، من أجل انتزاع حقوقها، والتحرر من قبضة الاستعمار»[41].

– وبشأن إشعال فتيل الثورة، قال : «... واللّه، وثم واللّه، سنشعلها حربا ضروسا، فإما أن ننتصر جميعا، أو نحترق جميعا»[42].

– دعا في إحدى اجتماعاته أصحابه إلى عدم استعمال الورق بكثرة فقال : «... إحذروا من كثرة

استعمال الورق، فكلما كثر قلت الأعمال»[43].

- قال للرائد مونتاي : «... إنني لم أطلب شيئا لنفسي أيها الرائد، فنفسي لا تساوي شيئا، إنني على استعداد تام، لأوقع على ورقة، أصرح فيها بأنني مستعد وموافق على أن أرمى بالرصاص، إذا كان موتي ينقذ الجزائر»[44].

- خاطب رفاقه في سجن الكدية بقسنطينة فقال : «... إخواني، يجب علينا أن لا نبقى مكتوفي الأيدي، علينا أن نعمل عملا إما أن ننجح به أو نموت ميتة شريفة»[45]

- عندما استقبل المجاهد زيان عاشور ورفاقه في جبل الأزرق يوم 21 مارس 1956م قال : «... هذا الرجل المحنك سيكفينا مهمة الصحراء»[46].

قال : – غداة الثورة التحريرية – بما معناه – ردا على أولئك المتخاذلين والناكرين لماضي الشعب الجزائري وتاريخه المجيد الحافل بالبطولات والأمجاد : سننجب التاريخ .

□ □ □

الخاتمة

يتضح ممّا تقدم في هذا العمل المتواضع المتعلق بحياة القائد الشهيد مصطفى بن بولعيد ونضاله وجهاده. ذلك القائد الذي مهما بُذِلَ من جهد فإنه لا يمكن الإحاطة بمناقبه ومبادئه، والذي تعدت أعماله وشهرته آفاق الجزائر، لما امتاز به من صفات وضعته في مصاف عظماء العالم المتطلعين إلى الحرية وتحرير الإنسان من الاستغلال والعبودية.

لقد حضّر مصطفى بن بولعيد للثورة الجزائرية، وأشرف على تفجيرها ووضع الأسس الأولى للنضال والمقاومة والجهاد، ثم شاءت الأقدار أن يقع في أيدي الأعداء، غير أنه تمكن من الإفلات والفرار من السجن بعملية عجيبة وفريدة، تكاد تكون أسطورة، مكنته من تحرير نفسه مع عدد من رفاقه،

ليعود على إثرها إلى مواصلة الجهاد والمقاومة من جديد وقيادة الثورة، إلا أن يد الغدر امتدت إليه، فاستشهد في الميدان بوسيلة استعمارية خبيثة وماكرة عن طريق جهاز إرسال ملغم ألقت به أجهزة مخابرات العدو.

لقد كان جيش الاحتلال يتصور ويعتقد أنه عندما يتخلص من مصطفى بن بولعيد، سوف يقضي على الثورة في الأوراس، وفي الجزائر عموما، ونسي أو تناسى أن هذا القائد قد غرس الثورة في أبناء الأوراس بل وفي كل الجزائريين وبث فيهم روح العمل لمواجهة كل الصعوبات والعراقيل، وورّثهم أمانة الجهاد،ولقنهم مقولة الشاعر العربي :

إذا مات منا سيد قام سيد

قؤول لما قال الكرام فعول

لقد استشهد مصطفى بن بولعيد في وقت مبكر

من عمر الثورة، وكان يسعى لتحقيق استقلال البلاد والعباد بكل ما أوتي من قوة وجهد، كما دلت على ذلك أعماله وبطولاته التي تؤكد أنه كان مؤمنا ومطمئنا لتحقيق النصر على جيش الاحتلال مهما بلغت المخاطر واشتدت الأزمات.

□ □ □

حياة الشهيد في سطور

05 فيفري 1917م : ولد الشهيد مصطفى بن بولعيد بقرية «اينركب» بأريس (باتنة)، من أسرة ميسورة الحال.

- أنهى دراسته الابتدائية بالمدرسة الرئيسية بأريس، وتعلم بالكتاتيب القرآنية وتحصل على مستوى التعليم المتوسط باللغتين.

- في أواخر الثلاثينيات، التحق بمدرسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان شغوفا بالثقافة والمطالعة.

- شارك مجموعة من رفاقه في تأسيس جمعية خيرية (بناء مسجد بأريس).

1937 : غادر أرض الوطن إلى فرنسا، حيث انتخب رئيس نقابة في مدينة (فليري) بمقاطعة ميتز.

1938 : عاد إلى مسقط رأسه في شهر أفريل حيث استأنف نشاطه الأول المتمثل في التجارة والفلاحة.

1939 : استدعي لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية بسطيف حيث نجح من خلالها في امتحان التربص، وتم تقليده رتبة رقيب.

1940 : أطلق سراحه من الخدمة العسكرية.

1942 : تزوج، ورزق بـ (7) سبعة أبناء من بينهم بنت واحدة.

1943 : بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، استدعي ثانية للتجنيد في الخدمة العسكرية كاحتياطي في قالمة، ونظرا لنشاطه الوطني المتميز، سجن بتهمة التحريض ضد فرنسا.

1944 : بعد إطلاق سراحه، انتخب رئيسا للتجار في أريس، كما أسندت إليه رئاسة مدرسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لكونه من المؤسسين لها في أريس، كما انخرط في حزب الشعب الجزائري.

1946 : قام بالدعاية ضد مرشحي فرنسا من العملاء للمجالس والأقسام الأولى.

1947 : شارك في انتخابات مجالس كبار الجماعة، كما كلف بالإشراف على المنظمة السرية من طرف حزب الشعب الجزائري بأريس.

1948 : قررت قيادة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ترشيحه لانتخابات المجلس الجزائري في 4 و 11 أفريل، لكن الوالي العام «إيدموند نايجلان» زورها ومنعه من النجاح.

1949 : كلف من طرف الحركة بالاشراف على اللاجئين في الأوراس.

- نجا من هجوم العملاء عليه بالرصاص في منزله.

1950 : اكتشاف المنظمة السرية في كامل الوطن ما عدا الأوراس، مما عرضه إلى محاولة اغتيال ثانية من طرف نفس العصابة.

1951 : تعرض أخوه عمر لمحاولة اغتيال في وضح النّهار وهو عائد من باتنة إلى أريس.

1953 : أصبح عضوا في اللجنة المركزية والمكتب السياسي في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية.

أكتوبر 1953 : سعى حثيثا للتوفيق بين مصالي الحاج واللجنة المركزية (المصاليين والمركزيين) لكن محاولته باءت بالفشل.

فيفري 1954 : اتصل ثانية بمصالي الحاج لحل المشكل القائم.

مارس 1954 : إعلان مصالى الحاج عن ميلاد «لجنة الانقاذ العام».

06 مارس 1954 : شارك في تشكيل اللّجنة الثورية للوحدة والعمل لتقريب وجهات النظر بين المركزيين والمصاليين.

أفريل 1954 : اجتمع بكل من شيهاني بشير، وعاجل عجول، وعبّاس لغرور، ومصطفى بوستة وعبيدي محمد الطاهر، وأحمد نواورة، ومحمّد الشريف بن عكشة في منزل مسعود بلعقون بباتنة، حيث قدم عرض حال عن الوضع السياسي العام في البلاد.

جويلية 1954 : شارك في أشغال المؤتمر الذي عقده المصاليون في «هورنو» ببلجيكا أيام : 14 - 15 - 16، لحل المشكل ثالثة، لكن دون جدوى مما جعله يقرر فك الروابط السياسية والتنظيمية بينه وبين كلا التيارين.

24 جويلية 1954 : ترأس اجتماع مجموعة الـ 22 بحي المدنية بالجزائر العاصمة من أجل التخطيط لتفجير الثورة المسلحة، وتقسيم البلاد إلى 5 مناطق وتعيين مسؤوليها.

أوت 1954 : أشرف على اجتماع بضيعته بتازولت حيث تقرر إعداد قوائم إحصائية للمناضلين والأسلحة المتوفرة.

30 سبتمبر 1954 : أشرف على اجتماع بضواحي باتنة مع شيهاني بشير، وحجاج بشير، وعباس لغرور لتقديم العروض وقوائم الأسلحة وضبط رزنامة العمل.

22 أكتوبر 1954 : التقى بكل من محمّد بوضياف ورابح بيطاط، ومحمّد العربي بن مهيدي، وديدوش مراد، وكريم بلقاسم بمنزل مراد بوقشورة، حيث تم الاتفاق بينهم على نص بيان أول نوفمبر 1954، ومراجعته، وتحديد الساعة صفر من ليلة أول نوفمبر كموعد لتفجير الثورة التحريرية.

24 أكتوبر 1954 : اجتمع بلقرين في دار عبد اللّه بن مسعودة المعروف بابن مزيطي مع كل من شيهاني بشير، وعبّاس لغرور، وعاجل عجول، والطاهر نويشي، حيث أعلن عن تاريخ قيام الثورة، وتم توزيع بيان أول نوفمبر على الحاضرين.

30 أكتوبر 1954 : أشرف على اجتماعين بدشرة أولاد موسى (إيشمول) وبخنقة الحدادة.

31 أكتوبر 1954 : تم تحديد دشرة أولاد موسى وخنقة الحدادة كنقطتي تجميع أفواج جيش التحرير الوطني لاستلام السلاح والتعليمات.

24 جانفي 1955 : غادر مقر قيادته بجبل كيمل بالأوراس قاصدا

قـريـة ابـن قـردان رفـقـة عـمـر الـمـسـتـيـري ومجموعة من المجاهدين.

27 جانفي 1955 : عقد اجتماعا مع مجاهدي المنطقة حيث أطلعهم على الأوضاع التي تمر بها الثورة، وبعث بعضهم كمبعوثين من طرفه إلى جهات عديدة.

11 فيفري 1955 : تم اعتقاله بقرية ابن قردان (الحدود التونسية اللّيبية)، حيث تعرض للضرب والتعذيب ونقل إلى سجن الكدية بقسنطينة وحوكم مع 20 متهما آخرا بتهمة تكوين جمعية أشرار وصدر الحكم ضده بالإعدام.

03 مارس 1955 : قدم إلى المحكمة العسرية الفرنسية بتونس.

28 مـاي 1955 : حكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة.

21 جوان 1955 : نقل إلى قسنطينة لتعاد محاكمته أمام المحكمة العسكرية، حيث حكم عليه بالإعدام بتهمة الإخلال بالنظام العام والتآمر على أمن فرنسا.

10 نوفمبر 1955 : فرّ من سجن الكدية صحبة أحد عشر سجينا من بينهم العقيد الطاهر الزبيري و محمّد العيفة.

13 و 14 جانفي 1956 : قاد معركـة بـ «إيفـري البـلـح» «بجبل

أحمر خدو»، وخرج منها منتصرا.

من 11 إلى 13 مارس 1956 : عقد اجتماعا في وادي عطاف جنوب غابة بني ملول على حدود كيمل لدراسة مختلف الأوضاع والقضايا.

22 مارس 1956 : عقد اجتماعا مع قادة المنطقة الأولى بتافرانت «الجبل الأزرق».

22 مارس 1956 : انفجر عليه مذياع مفخخ واستشهد رفقة 05 مجاهدين، وتوجد رفاتهم في مقبرة نارة ببلدية منعة (أريس).

المراجع المعتمدة

(1) ـ سورة آل عمران، الآيتان : 169- 170.

(2) ـ سورة التوبة، الآية : 111.

(3) ـ سورة النساء الآية : 69

(4) ـ رسالة الأطلس. العدد 3 ، أفريل 1993م، ص 17.

(5) ـ مجلة التاريخ والتراث الأثري، دار الشهاب، باتنة، العدد 1. جويلية 1986، ص 89.

(6) ـ رسالة الأطلس، المرجع السابق، ص 17.

(7) ـ شريط تلفزيوني حول الشهيد مصطفى بن بولعيد. إنتاج مركز باتنة، 1997.

(8) ـ سورة المائدة، الآية : 2

(9) ـ مجلة أول نوفمبر العدد 77, (1986)، ص 53 , 54

(10) ـ بارون سليمان، حياة البطل الشهيد مصطفى بن بولعيد، دار الشهاب، باتنة 1988، ص 29 .

(11) ـ المصدر نفسه، ص 29 , 30 .

(12) ـ المصدر نفسه، ص 29 , 30 .

(13) _ مطمر محمّد العيد، فاتحة النار (العقيد مصطفى بن بولعيد)، دار الهدى، عين مليلة، 1990م، ص 14.

(14) _ ندوة عن الشهيد مصطفى بن بولعيد، المتحف الوطني للمجاهد، 17 مارس 1998، الشريط الثاني.

(15) _ جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994م، ص 234.

(16) _ مجلة أول نوفمبر، العدد 35، (1979)، ص23-24.

(17) _ محمّد عباس، ثوار عظماء (حديث الإثنين)، مطبعة دحلب، الجزائر، 1991م، ص 23 . وانظر مجلة أول نوفمبر العدد 35 (1979)، ص 23 .

(18) _ مجلة أول نوفمبر، العدد 35،(1979)، ص25.

(19) _ مجلة أول نوفمبر، العدد 77 ، (1986)، ص 56،55 . وانظر محمّد عباس، المصدر السابق، ص 17.

(20) _ مجلة أول نوفمبر العدد 17.(1986)، ص 55 .
وانظر محمّد عباس، المصدر السابق، ص 17.

(21) _ محمّد عباس، المصدر السابق، ص 18 - 19.

(22) _ مجلة أول نوفمبر العدد 77، (1986)، ص 55 .

(23) _ يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط 3،المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1996 ، ج 2، ص 119 .

(24) _ يحي بوعزيز، المصدر نفسه، ص 122 .

(25) _ جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس، مصطفى بن بولعيد، والثورة الجزائرية، دار الهدى، عين مليلة، 1999 ، ص 728.

(26) _ مجلة الجيش، السنة 17 ، العدد 200 ، نوفمبر 1980، ص 06 .

(27) _ المصدر نفسه، العدد 248، نوفمبر 1980، ص 15

(28) _ المصدر نفسه، ص 24 .

(29) _ مجلة أول نوفمبر العدد 37.،1979،، ص 35 .

(30) ـ الجزائر في معركة التحرير، دار الكتب الشرقية، تونس، 1956 ، ص 81.

(31) ـ جمعية أول نوفمبر لحماية وتخليد مآثر الثورة في الأوراس، المصدر السابق، ص 714 - 717.

(32) ـ مجلة أول نوفمبر العددان 88 - 89 (يناير ، فبراير 1988)، ص 11.

(33) ـ جمال قنان، معلومات تاريخية أدلى بها بمقر المتحف الوطني للمجاهد، يوم 10 /1999/11، في الساعة الخامسة مساء.

(34) ـ مجلة أول نوفمبر العددان 88 - 89 ، (يناير ـ فبراير 1988) ص 11.

(35) ـ مجلة أول نوفمبر، العدد 84، (جوان 1987)، ص 34 - 39.

(36) ـ محمد عباس، كتاب (ثوار عظماء)، مطبعة دحلب، (ص ص33-38)

(37) ـ مجلة أول نوفمبر، العدد : 35 ,(1979) ، ص 26 ، 27 . وانظر أيضا العدد : 84. (1987)، ص 34، وما بعدها، بالإضافة إلى المعلومات التي

أدلى بها مشافهة العقيد الطاهر الزبيري مساء يوم 27 نوفمبر 1999 بمقر المتحف الوطني للمجاهد، أثناء الحوار الذي دار بينه وبين السيدين مصطفى بيطام المدير العام للمتحف الوطني للمجاهد، والأستاذ عبد القادر فضيل، حول قصة فرار مصطفى بن بولعيد ورفاقه من سجن الكدية «قسنطينة».

(38) ـ الأمانة الوطنية للمجاهدين، بسكرة، نشرية حول الشهيد زيان عاشور، د. ت. ص 3.

(39) ـ الطيب فرحات، شهادة حية (شريط فيديو)، الذكرى الثالثة والأربعون لاستشهاد مصطفى ابن بولعيد، باتنة (22 - 23 مارس 1999).

(40) ـ مجلة التراث التاريخي، المصدر السابق، ص 96.

(41) ـ مصطفى طلاس، الثورة الجزائرية، دارالشورى، بيروت. ص 93 .

(42) ـ يومية الشعب، 23 مارس 1996 ، ص 6 .

(43) ـ مجلة المجاهد، العدد 1004 (نوفمبر 1979)، ص 10

(44) ـ جمعية أول نوفمبر لحماية وتخليد مآثر الثورة

في الأوراس، المصدر السابق، ص 671 .

(45) ـ مقولة، قالها مصطفي بن بولعيد، وهو في سجن الكدية بقسنطينة.

(46) ـ طيب فرحات، المصدر السابق.

□ □ □

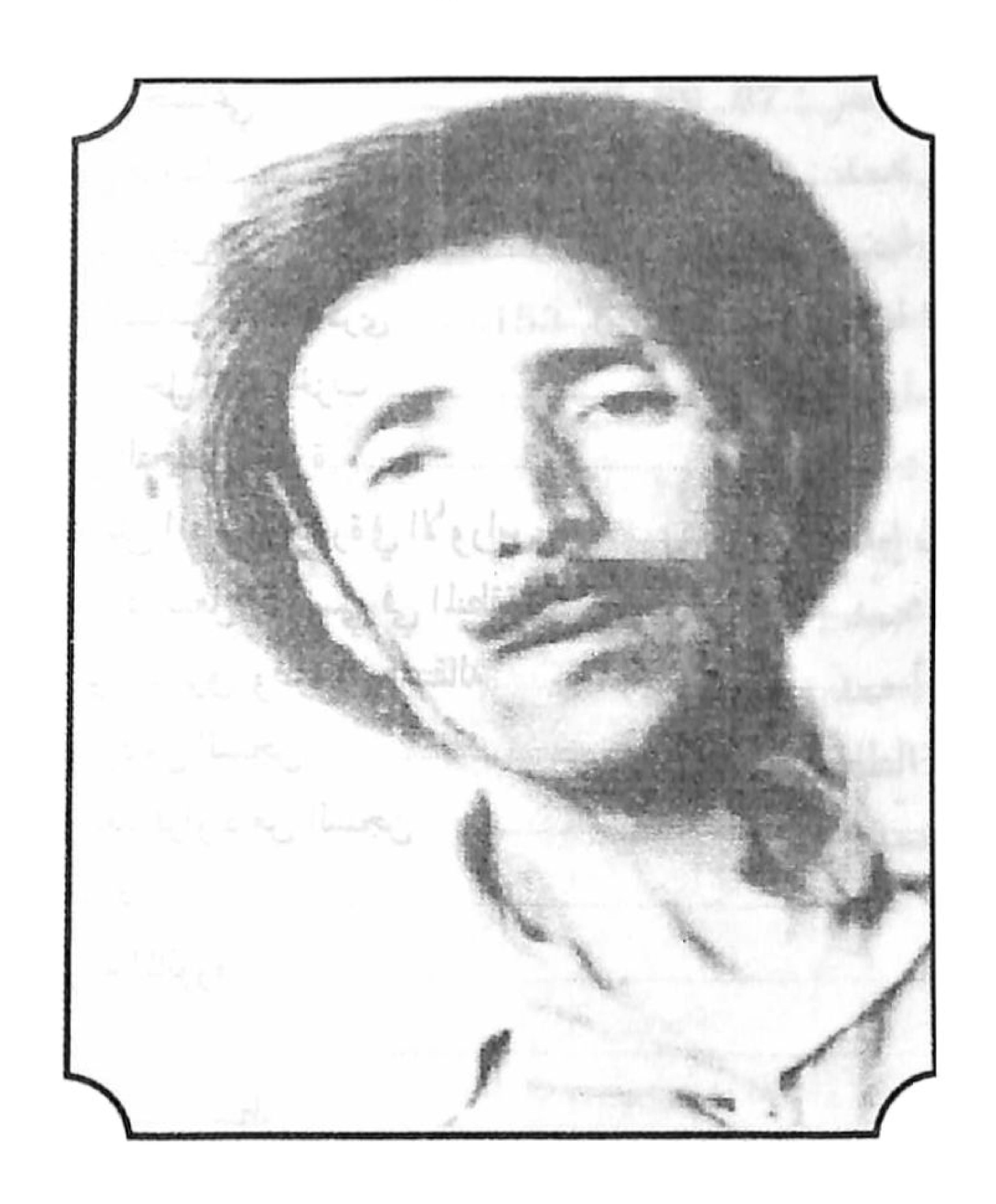
فهرس الأماكن

فهرس الأعلام

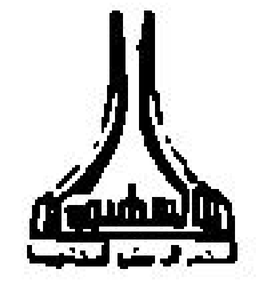
الفهرس

الإصدار القادم :

الشهيد



زيغود يوسف



إعداد : المتحف الوطني للمجاهد

